الرَّدُّ على الرفاعي والبوطي

في كذبهما على أهل السنة
ودعوتهما إلى البدع والضلال

إعداد

عبد المحسن بن حمد العباد البدر

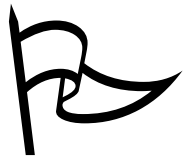

الحمد لله ربِّ العـالمين، والصـلاة والسـلام الأتَمَّان الأكملان على سـيِّد المرسَـلين وإمـام المتقين، نبيِّنا محمد وعلى آله وأصـحابه ومن تَبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين، أمَّا بعد:

فقد اطَّلعتُ على أوراقٍ للكـاتب الأسـتاذ يوسف هاشم الرِّفـاعي سـوَّدها بِما زعمَ أنَّه نصـيحةٌ لعلمـاء نَجـد، أَفـرَغ فيها ما في جُعبتِه وجُعَبِ الذين تعـاونوا معه على الإثمِ والعـدوان، من تهجُّمٍ على مَن زعم نُصـحَهم وكـذبٍ عليهم ودعـوةٍ إلى البـدعِ والضـلال، وكأنَّه لَم يَجد في بلدِه الكويت مَن يَشُدُّ أَزرَه على وزره، فيَمَّم نحـوَ الشـام ليجِد في الـدكتور محمد سـعيد رمضـان

البوطي بُغيتَه المطلوبة وضالَّتَه المنشودة، فيُقدِّمَ لأوراقِـه، ويتَّفِـقَ معه في الوقيعة بالمتمسِّـكين بالكتاب والسُّنَّة وما كان عليه سلف الأمَّة.

وقبل مناقشـتِه في كثـيرٍ مِمَّا اشـتَملت عليه أوراقُه أُشيرُ إجمالاً إلى أمور هي:

1 ـ جعل الكاتبُ ما زعمه نصيحةً موجَّهًا لعلماء نجد، وهو في الحقيقةِ موجَّهٌ لكـلِّ ملـتزمٍ بالكتاب والسُّنَّة وما كان عليه سلفُ الأمَّة.

2 ـ أَورَدَ الكاتبُ أمورًا عابَها على مَن زعم نصحَهم، وهي من الحقِّ الـذي لَم يُوفَّق للهدايـةِ إليه ـ هداه اللّٰه وأصلح حالَه ـ.

3 ـ أورَدَ أمورًا هي من البدعِ ومُحدَثات الأمـورِ عـاب على مَن زعم نصـحَهم عـدمَ الأخـذِ بها، ودعوتَهم إلى تركِها والابتعادِ عنها.

4 ـ عاب على مَن زعم نصحَهم أمورًا لا حقيقةَ لها، وهم بُرآءُ منها.

5 ـ أورَد أمورًا لاحَظَها على فردٍ أو أفرادٍ وأسـندها إلى مَن زعم نُصـحَهم؛ ليُكثِّر بـذلك خصومَه يوم القيامة.

6 ـ شمل الكاتبُ بعطفِه وشفقتِه الفِرَقَ المختلفة، بل حتى السّحَرةَ ومُهـربيِّ المخـدرات، ولَم يبخَل بذلك إلاَّ على مَن زعم نصـحَهم، وكأنَّه ليس أمامَه في الميـدانِ إلاَّ مَن يتَّبع الكتـاب والسُّنَّة وما كان عليه سلف هذه الأمة.

7 ـ تعرَّض في أوراقِه للنيل من حُكَّام المملكة وقُضـاتِها ومُفتيها وبعض الأئمَّة والخُطباء، وكيفية القبول في الجامعات، وتعـيين الخرِّيجين والدعاة وغير ذلك، فكان بـذلك مُجيـدًا لِما يُقال له: التدخُّل في الشؤون الداخلية.

وذكّرني صنيعُه هذا كلمـةً قالَها الإمـامُ يحـيى بن معين
ـ رحمه الله ـ في أحد الرواة، حيث قال: ((يُفسـدُ

نفسَه، يدخل في كلِّ شيء »!

8 ـ كلُّ ما في أوراق الكاتب يُوافقه عليه الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، كما ذكر ذلك في تقديمِه للأوراق، وكلُّ ردٍّ على الكاتبِ هو ردٌّ على المقدِّم لها.

وهذا أوانُ الشروع في مناقشة الكاتب في بعض ما اشتملت عليه أوراقُه، وما يُذكر دليلٌ على ما لَم يُذكر.

1 ـ قال الكاتب: « كان أسلافُكم حنابلة المذهب يتَّبعون ويُقلِّدون مذهبَ الإمام الشيخ أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه، ابتداءً من ابن تيمية وابن القيم ».

ثم ذكر جماعةً من الحنابلةِ منهم: ابن قدامة المقدسي، وابن هُبيرة، ثمَّ قال: « وختامًا بالشيخ محمد بن

عبد الوهاب وأولاده والمفتي محمد بن إبراهيم وابن حميد
ـ رحمهم الله تعالى جَميعًا ــ ولكنَّكم الآن تخلَّيتم عن هذا المذهب، وقلتُم (إنَّكم سلفيُّون) ... وأنَّكم تلتزمون بالكتاب والسنة فقط ...)).

ويُجاب عن كلامه من وجوه:

الأول: أنَّه ذكر ابنَ قدامة وابنَ هبيرة بعد ابن تيمية وابن القيم وابن رجب وغيرهم، والواقع أنَّهما متقدِّمان عليهم؛ لأنَّ وفاةَ ابن تيمية سنة (728هـ)، أما ابن قدامة فكانت وفاتُه سنة (620هـ)، وقبله ابن هبيرة كانت وفاته سنة (560هـ)، فلَم يُميِّز الكاتبُ بين مَن هو متقدِّمٌ ومَن هو متأخِّرٌ!

الثاني: أنَّ علماءَ نجد الذين وصفهم الكاتبُ بأنَّهم تَخلَّوا عن المذهب الحنبلي لَم يتخلَّوا عنه كما زعم، بل دَرَسوه ودرَّسوه، فالشيخ عبد

العزيز بن باز ـ رحِمه الله ـ كان يُدرِّس في كلية الشريعة بالرياض الروضَ المربع شرح زاد المستقنع، وأنا مِمَّن دَرَسَ عليه، والشيخ ابن عثيمين يُدرِّس زاد المستقنع، وقد طُبع من شرحه عدةُ مجلدات، وكذلك غيرهما، بل إنَّ الكاتبَ وغيرَه يسمعون في إذاعة القرآن الكريم شرحَ الشيخ صالح الفوزان « زاد المستقنع »، وشرح الشيخ عبد الرحمن الفريان « آداب المشي إلى الصلاة » للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

وعلى هذا فهُم لَم يتخلَّوا عن المذهب الحنبليِّ، ولكنَّهم تَخلَّوا عن التعصُّب له، وإذا وُجد الدليلُ الصحيح على خلاف المذهب صاروا إلى ما دلَّ عليه الدليلُ.

وإذًا فلا فرقَ بين الذين زعم نصحَهم، ووصفهم بأنَّهم تَخلَّوا عن المذهب الحنبليِّ، وبين

مَن وصفهم باتِّباعه كابن تيمية وابن القيم وابن رجب وغيرهم، فإنَّ الكلَّ درسوا المذهب الحنبليَّ واستفادوا من كتب المذهب، وإذا تبيَّن أنَّ الدليلَ على خلافه صاروا إليه.

الثالث: أنَّ هذا المسلكَ الذي عليه علماء الحنابلة الملتزمون بالدليل من الكتاب والسُّنَّة هو الذي عليه أهلُ الإنصافِ من مذاهب الأئمَّة الآخرين، ومن أمثلة كلامهم في ذلك:

قال الحافظ ابن حجر في الفتح (1/306): « قال أصبغ: المسحُ عن النبيِّ ✕ وعن أكابر أصحابه في الحضَر أثبتُ عندنا وأقوى من أن نتَّبع مالكًا على خلافه ».

وقال في الفتح (1/276):ـــ « المالكيَّةُ لا يقولون بالتثريب في الغسل من ولوغ الكلب، قال القرافيُّ منهم: قد صحَّت فيه الأحاديث، فالعجبُ منهم كيف لَم يقولوا بها! ».

وقال في الفتح (3/189): « قال ابن العربيُّ المالكي: قال المالكيَّةُ: ليس ذلك ـ أي الصلاة على الغائب ـ إلاَّ لِمحمَّدٍ ✕، قلنا: وما عمل به محمدٌ ✕ تعمَلُ به أمَّتُه، يعني لأنَّ الأصلَ عدم الخصوصية، قالوا: طُويت له الأرضُ وأُحضرت الجنازةُ بين يديه! قلنا: إنَّ ربَّنا عليه لقادرٌ، وإنَّ نبيَّنا لأهلٌ لذلك، ولكن لا تقولوا إلاَّ ما رويتم، ولا تَخترعوا حديثًا من عند أنفسكم، ولا تُحدِّثوا إلاَّ بالثابِتات ودَعُوا الضعافَ؛ فإنَّها سبيلُ إتلاف إلى ما ليس له تَلاف ». وانظر: نيل الأوطار للشوكاني (4/54).

وقال ابنُ كثير ـ رحمه الله ـ في تعيين الصلاة الوسطى: « وقد ثبتت السُّنَّةُ بأنَّها العصرُ، فتعيَّن المصيرُ إليها »، ثمَّ نقل عن الشافعيِّ أنَّه قال: « كلُّ ما قلتُ فكان عن النبيِّ ✕ بخلاف قولي مِمَّا يصِحُّ، فحديثُ النبيِّ ✕ أولَى، ولا تُقلِّدوني،

وقـال أيضـاً: إذا صـحَّ الحـديثُ وقلتُ قـولاً، فأنا راجعٌ عن قولي وقائلٌ بذلك))، ثمَّ قال ابنُ كثـير: ((فهـذا من سـيادتِه وأمانتِـه، وهـذا نَفَسُ إخوانِه من الأئمَّة رحمهم الله ورضي الله عنهم أجمعين، آمين، ومن هنا قطع القاضي الماوَردي بـأنَّ مـذهبَ الشـافعيّ ـ رحمه الله ـ أنَّ صـلاةَ الوسـطى هي صـلاةُ العصر ـ وإن كـان قد نصَّ في الجديد وغيره أنَّها الصبح ـ لصـحَّة الأحـاديث أنَّها صلاةُ العصر، وقد وافقه على هذه الطريقـةِ جماعةٌ من مُحـدِّثي المـذهب، ولله الحمد والمِنَّة)). تفسـير ابن كثـير (1/294) عند قوله تعـالى: {**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاَةِ الوُسْطَى**}.

وقـال ابنُ حجر في الفتح (2/222):ـ ((قـال ابنُ خزيمة في رفع اليـــدين عند القيـــام من الركعـتين: هو سـنَّةٌ وإن لَم يـذكره الشـافعي،

فالإسنادُ صحيح، وقد قال: قولوا بالسنَّة ودَعُوا قولي)).

وقال في الفتح أيضًا (3/95):ـ ((قال ابنُ خزيمة: ويَحرُم على العالم أن يُخالف السنَّة بعد علمِه بها)).

وقال في الفتح (2/470):ـ ((روى البيهقي في المعرفة عن الربيع قال: قال الشافعيُّ: قد روي حديث فيه أنَّ النساءَ يُتركن إلى العيدين، فإن كان ثابتًا قلتُ به، قال البيهقي: قد ثبت وأخرجه الشيخان ـــ يعني حديث أمِّ عطية ـــ فيلزم الشافعيَّة القول به)).

وذكر النووي في شرح صحيح مسلم (4/49) خلافَ العلماء في الوضوء من لحم الإبل، وقال: ((قال أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه في هذا ـ أي الوضوء من لحم الإبل ـ حديثان: حديث

جابر وحديث البراء، وهذا المذهبُ أقوى دليلاً وإن كان الجمهور على خلافه)).

وقال ابن حجر في شرح حديث ابن عمر: ((أمرتُ أن أقاتِل الناس)) في قصَّة مناظرة أبي بكر وعمر في قتال مانعي الزكاة، قال: ((وفي القصةِ دليلٌ على أنَّ السُّنَّة قد تخفى على بعض أكابر الصحابة ويطَّلع عليها آحادُهم، ولهذا لا يُلتفتُ إلى الآراء ــ ولو قَوِيت ــ مع وجود سُنَّة تخالفُها، ولا يُقال: كيف خَفِيَ ذا على فلان؟!)). الفتح (1/76).

وقال في الفتح (3/544):ــ ((وبذلك ــ أي بإشعار الهدي ــ قال الجمهور من السلف والخلف، وذكر الطحاويُّ في اختلاف العلماء كراهتَه عن أبي حنيفة، وذهب غيرُه إلى استحبابه للاتِّباع، حتى صاحباه محمد وأبو

يوسف، فقالا: هو حسن)).

الرابع: أنَّ أهلَ السنَّة المتَّبعين لنصوص الكتاب والسُّنَّة أسعدُ من غيرهم باتِّباع الأئمَّة الأربعة؛ لأنَّهم المنَفِّذون لوصاياهم، قال ابن القيم في كتاب الروح (ص:395 ـ 396): ((فمَن عرضَ أقوال العلماء على النصوص ووَزَنها بها وخالف منها ما خالف النصَّ لَم يُهدِر أقوالَهم ولَم يهضِم جانبَهم، بل اقتدى بهم؛ فإنَّهم كلَّهم أَمروا بذلك، فمتَّبِعُهم حقًّا مَن امتثلَ ما أَوْصَوا به لا مَن خالفهم؛ فخِلافُهم في القول الذي جاء النَّصُّ بخلافه أسهل من مخالفتِهم في القاعدة الكلِّيَّة التي أَمروا ودَعَوا إليها من تقديم النصِّ على أقوالهم، مِن هنا يتبيَّن الفرقُ بين تقليد العالِم في كلِّ ما قال وبين الاستعانة بفهمِه والاستضاءةِ بنور علمِه، فالأول يأخذ قولَه من غير نظرٍ فيه ولا طلبٍ لدليله من الكتاب والسُّنَّة،

بل يجعل ذلك كالحبل الـــــــذي يُلقيه في عُنقِه ويُقلّده بـــه، ولــذلك سُــمِّيَ تقليــداً، بخلاف مَن استعان بفهمِه، واستضاءَ بنور علمِه في الوصول إلى الرَّســول صــلواتُ اللّٰه وســلامُه عليــه، فإنَّه يجعلُهم بمنزلــةِ الــدليل إلى الــدليل الأول، فــإذا وصلَ إليه استغنى بدلالته عن الاســتدلال بغــيره، فمَن استدلَّ بالنَّجم على القبلة فإنَّه
إذا شاهدها لَم يبقَ لاستدلالِه بالنجم معنى، قال الشافعيُّ: ((أجمع النَّاسُّ على أنَّ مَن استبانت له سـنَّةُ رسـول اللّٰه ✕ لَم يكن له أن يَـدَعها لقـول أحدٍ)).

الخامس: أنَّ أهلَ السنَّة الآخذين بوصايا الأئمَّة باتِّباع ما دلَّ عليه الدليل ــ ومنهم مَن زعم الكـاتب نصـحَهم ــ يوافقـون الأئمَّةَ في أصـول الــدِّين، ويســتفيدون من فقههم في الفــروع، بخلاف كثـــيرٍ من المتعصِّـــبين لهم؛ فـــإنَّهم

يُخـــالفونهم في العقيـــدة فيتَّبعـــون مـــذهبَ الأشاعرة، ويُقلِّدونهم في الفروع.

* * *

2 ـ أنكر الكاتِبُ على مَن زعم نصحَهم

عـدمَ السـماح بإدخـال كتـاب ((دلائل الخـيرات)) للجزولي إلى البلاد السعودية.

ويُجاب بأنَّ كتاب دلائل الخيرات مشتملٌ على صلواتٍ على النبيِّ ✕ محدَثة، وفيها غُلُوٌّ، وما ثبت في الصحيحين وغيرهما من كيفيات للصلاة على النَّبِيِّ ✕ فيها غُنيةٌ وكفايةٌ عمَّا أحدثه المحـدِثون، ولا شـكَّ أنَّ ما جـاءت به السُـنَّة وفَعَلَه الصـحابةُ الكـرام والتـابعون لهم بإحسـانٍ هو الطريـقُ المسـتقيمُ والمنهجُ القـويم، والفائـدةُ للآخِـذِ به محقَّقـةٌ، والمضـرَّةُ عنه منتفيـةٌ، وقد قـال عليه

الصلاة والسلام: ((عليكم بسُنَّتي وسنَّةِ الخلفاء الراشدين المهديين مِن بعدي، عضُّوا عليها بالنواجذ، وإيَّاكم ومُحدثات الأمور، فإنَّ كلَّ مُحدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعة ضلالةٌ)).

وكتاب دلائل الخيرات اشتمل على أحاديث موضوعة وكيفيات للصلاةِ على النبيِّ ✕ فيها غُلُوٌّ ومُجاوَزةٌ للحدِّ ووقوعٌ في المحذور الذي لا يرضاه اللّٰهُ ولا رسولُه ✕، وهو طارئٌ لَم يكن من نهج السابقين بإحسان، قال الشيخ محمد الخضِر بن مايابى الشنقيطي في كتابه ((مشتهى الخارف الجاني في ردِّ زلقات التجاني الجاني)): ((فإنَّ الناسَ مولَعةٌ بحبِّ الطارئ، ولذلك تراهم يَرغبون دائمًا في الصلوات المرويَّة في دلائل الخيرات ونحوه، وكثيرٌ منها لَم يثبت له سندٌ صحيح، ويَرغبون عن الصلوات الواردةِ عن النبيِّ ✕ في صحيح البخاري)).

ومِمَّا ورد في دلائل الخـــيرات من الكيفيـــات المنكرة للصـلاة على النَّبِيِّ قـولُ مؤلِّفـه: « اللَّهمَّ صـــلِّ على محمد وعلى آل محمد حـــتى لا يبقى من الصـلاة شـيءٌ، وارحم محمـداً وآل محمـدٍ حـتى لا يبقى من الرحمـةِ شـيءٌ، وبـارك على محمد وعلى آل محمد حـــتى لا يبقى من البركة شيءٌ، وسلِّم على محمد وعلى آل محمد حتى لا يبقى من السلام شيءٌ ».

فإنَّ قولَه: (حتى لا يبقى من الصلاة والرحمة والبركة والسلام شيء)، مِن أسوإِ الكلام وأبطـلِ الباطلِ؛ لأنَّ هـذه الأفعـالَ لا تنتهي، وكيف يقـول الجزولي: حـتى لا يبقى من الرحمة شـيء، واللّٰه تعالى يقول: {**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**}؟!

وقال في (ص:71): « اللَّهمَّ صلِّ على سيِّدنا

محمد بحر أنوارك، ومعدن أسرارك، ولسان حُجَّتك، وعروس مملكتك، وإمام حضرتك، وطراز ملكك، وخزائن رحمتك ... إنسان عين الوجود، والسبب في كلِّ موجود ...)).

وقال في (ص:64):ـ ((اللَّهمَّ صلِّ على مَن تفتَّقت من نوره الأزهارُ ... اللَّهمَّ صلِّ على من اخضرَّت من بقيَّة وضوئه الأشجار، اللَّهمَّ صلِّ على من فاضت من نوره جميع الأنوار ...)).

فإنَّ هذه الكيفياتِ فيها تكلُّفٌ وغُلُوٌّ لا يرضاه المصطفى ﷺ، وهو الذي قال: ((لا تُطروني كما أطرت النصارى ابنَ مريم، إنَّما أنا عبدٌ فقولوا عبد الله ورسوله)). أخرجه البخاري في صحيحه.

وقال في (ص:144، 145): ((اللَّهمَّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد ما سجعت الحمائم، وحمَت الحوائم، وسرحت البهائم، ونفعت

التمائم، وشُدَّت العمائم، ونمت النوائم ...)).

فـإنَّ في قولـه: ((ونفعت التمـائم)) إشـادة بالتمائم وحثًّا عليهـا، وقد حرَّمها ✕ فقـال: ((مَن تعلَّق تَميمة فلا أتَمَّ اللّٰه له)).

ومِمَّا ورد فيه من الأحـاديث الموضـوعة قوله في (ص:15):

((وروي عنه ✕ أنَّه قـال: ((مَن صـلَّى عليَّ صلاةً تعظيماً لِحَقِّي خلق اللّٰه عـزَّ وجـلَّ من ذلك القول مَلَكًا له جنـاح بالمشـرق والآخر بـالمغرب، ورجلاه مقرورتان في الأرض السـابعة السـفلى، وعُنُقُه ملتويةٌ تحت العـرش يقـول اللّٰه عـزَّ وجـلَّ لـه: صـلِّ على عبـدي كما صـلَّى على نـبيِّي، فهو يُصلِّي عليه إلى يوم القيامة)).

وقال في (ص:16):ـ ((وقـال النـبي ✕: ((ما من عبدٍ صـلَّى عليَّ إلاَّ خـرجت الصـلاةُ مسـرعة

من فيه، فلا يبقى بَرٌّ ولا بحرٌ ولا شـرقٌ ولا غـربٌ إلاَّ وتَمرُّ به وتقول: أنا صلاةُ فلان ابن فلان صلَّى على محمــدٍ المختــار خــير خلق اللّٰه، فلا يبقى شـيءٌ إلاَّ وصـلَّى عليـه، ويُخلـقُ من تلك الصـلاة طائرٌ له سبعون ألف جناح، في كلِّ جناحٍ سـبعون ألف ريشة، في كلِّ ريشة سبعون ألف وجــه، في كلِّ وجـهٍ سـبعون ألف فمٍ، في كـلِّ فمٍ سـبعون ألف لسان، يُسبِّح اللّٰه تعـالى بسـبعين ألف لغـة، ويكتب اللّٰه له ثوابَ ذلك كلَّه)).

هـذان حــديثان من أحــاديث دلائل الخـيرات يَصــدق عليهما قــولُ العلاَّمة ابن القيم في كتابه ((المنار المنيف)):

((والأحــاديثُ الموضــوعة عليها ظُلمة وركاكــةٌ ومجازفات باردة تُنادي على وضـعها واختلاقها))، ثمَّ ضرب لذلك بعضَ الأمثلـة، ثم قـال: ((فصـل: ونحن نُنبِّه على أمورٍ كُلِّيَّة، يُعرفُ بها كون الحديث

موضـــوعًا، فمنها اشـــتمالُه على أمثـــال هـــذه المجازفـات الـتي لا يقـول مثلَها رسـولُ الله ✕، وهي كثـيرةٌ جـدًّا، كقوله في الحـديث المكـذوب: من قـــال لا إله إلاَّ الله خلق الله من تلك الكلمة طائرًا له سبعون ألف لسان، لكلِّ لسـان سـبعون ألف لغة يستغفرون الله له، ومَن فعل كـذا وكـذا أُعطي في الجنَّة سـبعين ألف مدينـة، في كـلِّ مدينة سبعون ألف قصر، في كـلِّ قصـرٍ سـبعون ألف حوراء، وأمثال هذه المجازفات الباردة الـتي لا تخلو حال واضعها من أحد أمرين: إمَّا أن يكون في غاية الجهل والحُمـق، وإمَّا أن يكـون زنـديقًا قصد التنقيص برسول الله ✕ بإضـافة مثل هـذه الكلمات إليه)).

ومن الواضـح الجَليِّ أنَّ مثـلَ هـذه الأحـاديث الموضـوعة المكذوبة على رسـول الله ✕ مباينَـةٌ تَمـــــام المباينة لِما أوتيَه ✕ من جوامع الكلم،

كقولِه ✕: « إنَّما الأعمـــال بالنيَّات، وإنَّما لكـــلِّ امرئ ما نــوى »، وقوله ✕: « دَعْ ما يُرِيبُك إلى ما لا يُرِيبُك »، وقوله ✕: « الـدِّينُ النصـيحةُ، قـالوا: لِمَن يا رسول اللّٰه؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسـوله، ولأئمَّة المســلمين وعــامَّتهم »، وقوله ✕: « إذا أمــرتكم بشــيءٍ فــأتوا منه ما اســتطعتم، وإذا نهيتُكم عن شيءٍ فاجتنبوه ».

وبعد هذا الإيضـاح والبيـان لبعض ما اشـتمل عليه كتـــاب « دلائل الخـــيرات » من الأحـــاديث الموضوعة، والكيفيات المُحدَثة للصلاة على النبيِّ ✕ يتـبيَّن أنَّ المنـعَ من دخوله المملكة منـعٌ في مَحلِّه، وأنَّ فيما ثبتت به السُّنَّةُ عن رسـول اللّٰه ✕ من بيـــان كيفية الصـــلاة عليه ✕ ما يُغنِي عن إحداث المحْدِثين وتكلُّف المتكلِّفين.

* * *

3 ـ قال الكاتب: ((ضَيَّقتُم ثمَّ أوْصدتُم وأقْفلتُم بـابَ النصـيحة من المسـلمين لأئمَّتهم وحُكَّامهم وأولي الأمر منهم، وأفتيتُم بمعصيةِ مَن يُخـالفُ ذلـك، وعـاديتموه، في الـوقت الـذي فيه المسلمون وحُكَّامهم بـأمَسِّ الحاجة إلى الوعـظِ والنصـيحةِ بالحُسـنى، وصـلى اللّٰه تعـالى على القائل: (الـدِّينُ النصـيحةُ، قلنـا: لِمَن؟ قـال: للـه، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمَّة المسلمين وعامَّتهم))).

والجواب: أنَّ النصحَ للولاة وغيرهم يكون نافعًا إذا كـان سـرًّا وبـالرِّفق واللِّين، قـال اللّٰه تعـالى للنَّبيَّيْن الكـريمَيْن موسى وهـارون عليهما الصلاة والسلام: {**اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**}، وعن عائشة رضي اللّٰه عنها، عن النَّبِيِّ ✕ قال: ((إنَّ الرِّفقَ لا يكون في شيءٍ إلاَّ زانه، ولا يُنزعُ من شيء إلاَّ شانَه))، رواه مسلم.

وفي الصحيحين ـ واللفظ للبخاري ـ عن أبي وائلٍ قال: قيل لأسامة ـ هو ابن زيد رضي الله عنهما ـ: لو أتيتَ فلانًا ـ هو عثمان بن عفان رضي الله عنه ـ فكلَّمتَه؟ قال: إنَّكم لَتَرونَ أَنِّي لا أُكلِّمه إلاَّ أُسمِعُكم؟ إنِّي أُكلِّمه في السِّرِّ دون أن أفتَح بابًا لا أكون أوَّل مَن فتحه)).

قال الحافظ في شرحه: ((أي: كلَّمتُه فيما أَشرتُم إليه، لكن على سبيل المصلحة والأدب في السر، بغير أن يكون في كلامي ما يُثير الفتنةَ أو نحوَها)).

وثبت في مسند الإمام أحمد والسُّنة لابن أبي عاصم ومستدرك الحاكم عن عياض بن غنم رضي الله عنه، عن النَّبِيِّ ✕ قال: ((مَن أراد أن ينصحَ لسلطانٍ بأمرٍ فلا يُبدِ له علانية، ولكن ليأخذ بيدِه فيخلو به، فإن قَبِل منه فذاك، وإلاَّ كان قد أدَّى الذي عليه له)).

أمَّا إذا خلا النصحُ من الرِّفـقِ ولَم يكن سـرًّا، بل كانَ علانيةً، فإنَّه يضُرُّ ولا ينفع، ومن المعلـوم أنَّ أيَّ إنسانٍ
إذا كان عنـده نقصٌ يُحِب أن يُنصـحَ برفـقٍ ولينٍ، وأن يكون ذلك سرًّا، فعليه أن يُعاملَ الناسَ بِمثلِ ما يُحبُّ أن يُعاملوه به.

ففي صحيح مسلمٍ في حـديث طويلٍ عن عبد اللّٰه بن عمــرو بن العــاصِ رضي اللّٰه عنهما أنَّ النَّبيَّ ✕ قـال: « فمَن أحبَّ أن يُزحـزَح عن النـارِ ويُدخل الجنَّةَ فلتأتِه منيَّتُه وهو يؤمن بالله واليـومِ الآخرِ، وليأتِ إلى الناسِ الـذي يُحبُّ أن يُـؤتى إليه ».

والنُّصـحُ بالطريقة الأولى هو المشـروع، وهو الذي يحصلُ به النفعُ والفائدةُ، ولا أحد يمنع هذا، بل لا يُستطاعُ منعُه؛ لأنَّه من الأمور الخفيَّةِ، فمِن أين للكــاتب أنَّ مَن زعم نصــحهم أفتــوا بمنع

ذلـك؟! وهل أحـدٌ منهم حـالَ بين الكـاتب وبين النصح لولاة الأمر في بلده أو غيرهم؟!

وأمَّا إذا كـان النُّصـحُ صـدرَ من أفـرادٍ في نفوسهم شـيءٌ على مَن زعمـوا نصـحَه، فكتبـوا نصيحةً بذلك، وجمعوا توقيعاتٍ عليها، ثمَّ وصـلت إلى إذاعة لندن، وإلى رويبضات الـزَّمن في لنـدن قبل أن تصـلَ إلى مَن أُريد نصـحُه، فهـذا النُّصـحُ غـيرُ سـائغٍ، ولا لـومَ على مَن أفـتى بكونه غـيرَ سائغ.

والعلمـاءُ الـذين زعم الكـاتبُ نصـحَهم وكـذا طلبة العلم في بلادهم ينصحون لولاة الأمور في بلادهم وغـــــــــير بلادهم، بالطريقة الأُولَى المشروعة، دون الطريقة الثانية، وبهذه المناسـبة يجِد صاحبُ هذا الرَّدّ على الكاتب أنَّه لا بـأس من الإشـارةِ إلى شـيء من ذلـك، فعنـدما حصل احتلالُ حُكَّام العراق للكـويت قبل عشر سـنوات،

وكانت حكومةُ الكويت في ذلك الـوقت في مدينة الطائف، كتبتْ لِسُمُوِّ أمير الكويت كتاباً جاء فيه:

« فـإنَّ ما حـدث للكـويت حكومة وشـعباً في ليلة الحادي عشر من شهر المحـرَّم هـذا العـام (1411هـ) من هجوم مباغتٍ قام به طغمة حزب البعث الحاكم في العـراق بزعامة المجـرم الأثيم صــدام حســين، وما تــرتَّب على ذلك من هلاك ودمـار وانتهـاك أعـراض وسـلب أمـوال وتشـريد للرعـاة والرعيـة، إنَّ ما حـدث لا شـكَّ أنَّه مصـيبةٌ كبرى وكارثةٌ عظمى أزعجت كلَّ مسـلمٍ وأحـزنت كـلَّ عاقـل، وأظهـرت بوضـوح مـدى خطر العـدوِّ الــذي يظهر نفسه في صــورة الصــديق، والله المسؤول أن ينصر المظلوم ويـدحر الظـالم، وأن تعود إلى الكـويت سـلامته وأمنه وأن يعـود أهله إليه عوداً حميداً.

ولا يخفى على سُموِّكم وأنتم تقرؤون القرآن

أنَّ اللّٰه بيَّن في كتابه الأسبابَ الحقيقية لحصول المصائب ووقوع الكوارث، والأسبابَ الحقيقية لحصول النِّعم وبقائها، والتمكين في الأرض والنصر على الأعداء، فقال: {**وَمَا أَصَابَكُمْ مِن مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**}، وقال: {**إِنَّ اللّٰهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**}، وقال: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللّٰهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**}، وقال: {**وَلَيَنصُرَنَّ اللّٰهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللّٰهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الَّذِينَ إِن مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ المُنكَرِ وَللّٰهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ**}.

واللّٰه تعالى يبتلي بالنِّعم، ويبتلي بالنِّقم كما قال تعالى: {**وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالخَيرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**}، وهذه النَّكبةُ العظيمة التي

حلَّت بالكويت هي ابتلاءٌ وامتحانٌ من الله لأهلِه، وفيها عِبرةٌ وعِظةٌ لهم ولغيرهم؛ ليُفكِّرَ كلُّ عاقل في أسباب سعادة الدنيا والآخرة، فيأخذ بها ويسلك الطرقَ الموصلة إليها، ويحذر كلُّ ناصح لنفسِه سلوكَ كلّ طريق يُؤدِّي بصاحِبه إلى سخط الله وعقوبتِه، ومن المعلوم أنَّ تلكَ الأسبابَ ترجع إلى امتثال أوامر الله ورسولِه ✕ واجتناب ما نهى الله عنه ورسولُه ✕، والالتزام بشرع الله، ولا شكَّ أنَّ المسؤوليَّةَ العُظمى في كلِّ قُطرٍ من أقطارِ المسلمين تقع على وُلاة الأمر فيه الذين يُمكنُهم بإذن الله وتوفيقه تطبيقُ شريعة الله وحكم شعوبهم بكتاب ربِّهم وسُنَّةِ نبيِّهم محمد ✕، ونبذ القوانين الوضعيَّة الوضيعةِ، والله المسؤول أن يُنهيَ هذه الفتنة التي جاءت من العراق على خير، لكن ماذا بعد انتهاء الأزمة؟

إنَّ الخـيرَ لكم وللشـعب الكويـتي أن يحصُـلَ منكم العزم والتصميم على أن يكون شكرُكم لله على رفع البلاء عنكم ودحر المعتــدى عليكم أن تُحكِّمـوا شـريعة الله، وأن يكـون وضع الكـويت فيما بعد انتهاء الأزمة غيرَه قبلها، وذلك بــالالتزام بالحقِّ والهدى الذي جاء به المصطفى ﷺ.

وقبل ثلاثة عشر عاماً في بداية تولِّي سمُوِّكم إمـارة دولة الكـويت بعثتُ لكم الرسـالةَ المرفق صورتها وفيها تـذكير سُـمُوِّكم بـالواجب عليكم في ولايتِكم، وأســأل الله أن يَكشف الغُمَّة، ويقطع دابرَ الفتنـة، وأن يُـوفِّقكم لِما تُحمـدُ عاقبته في الــدنيا والآخــرة، والســلام عليكم ورحمة الله وبركاته)).

والرســالة المشــار إليها هي بتــاريخ 6/2/1398هـ وقد جاء فيها:

« ومِمَّا هو معلــومٌ لسُــمُوِّكم أنَّ واجبَ مَن يتولَّى أمر المسـلمين في قطر من أقطـارهم أن يُقيم فيهم شرعَه، ويقـفَ بهم عند حـدوده وفـاءً بمسؤوليَّة ولايتِه أمام ربِّه، واقتـداء بما كـان عليه سـلفُنا الصـالح إذا ولي أحـدهم أمـرَ المسـلمين، وأنَّ ذلك هو الطريق الوحيد لعلاج حـــــــــال المسلمين وسـعادتهم في دنيـاهم وفـوزهم في أخــراهم، فما أصــاب المســلمين مِمَّا أصــابهم ومكَّن منهم أعـداءهم إلاَّ بسـبب إعراضـهم عن هــدى ربِّهم وتَنَكُّبهم عن صــراطه المســتقيم، واتِّبـاعهم السُـبل الأخـرى الـتي تفـرَّقت بهم عن سبيله، وهم أحوجُ ما يكونون إلى حُكَّام يعـودون بهم إلى ســبيل ربِّهم، ويَحملــونهم على اتِّبــاع أوامـره واجتنـاب نواهيـه، ويحكمـونهم بشـرعه، فيســتعيدون عــزَّتَهم ومجــدَهم ومكــانتَهم بين الأمم، كما وصفهم اللّٰه عزَّ وجلَّ: {**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى**

النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}، {**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ**}، {**وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ**}.

وإنَّ ما عُرف فيكم يا صاحب السُموِّ من عقل راجح وفِطنةٍ وحكمة، وبصيرة وبُعد نظر ليُقوِّي الرجاء في أن يتحقَّق في عهدكم لشعب الكويت كلُّ ما رَجوه من خير وتقدُّم وازدهار في ظلِّ حياة إسلامية قائمة على العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وتطبيق شريعتِه في دستور الدولة وقوانينها ونظمها وتعليمها وسائر شؤونها.

تولاَّكم الله عزَّ وجلَّ ورعاكم وأمدَّكم بتوفيقه وأعانكم على ما فيه العزَّة لدينه والخير لعباده، إنَّه سميع مجيب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته)).

وأول رسالة نصح لوَلِيِّ أمرٍ كانت للمِلك فيصل رحمه الله، بعثتُها في تاريخ (

2/10/1383هـ)، وكـانت إجابته عليها قبل مُضـيِّ نصف شهر، بكتاب هذه صورته:

4 ـ قال الكاتب: « سَمَّيتُم المصحف الشريف الذي أمر بطبعِه خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ـ جزاه الله خيراً ـ بـ (مصحف المدينة النبوية) بدلاً من أن يُسمَّى (مصحف المدينة المنورة)، وكأنَّكم لا تُقرُّون أنَّ هذه المدينةَ المباركةَ قد استنارت، بل استنارت الدنيا كلُّها ببعثة ورسالة سيِّدنا محمد عليه الصلاة والسلام ... ».

والجواب: أنَّه قد ورد لفظ (المدينة) في الكتاب والسُّنَّة غير مقيَّد بوصفها بـ (النبوية) أو (المنورة) أو غير ذلك.

وإطلاق لفظ المدينة ينصرف إلى مدينة الرسول ×، قال ابنُ عقيل في شرح ألفية ابن مالك: « من أقسام الألف واللاَّم أنَّها تكون للغلبة، نحو (المدينة) و(الكتاب)؛ فإنَّ حقَّهما الصدق

على كلِّ مدينة وكلِّ كتاب، لكن غلبت (المدينة) على مدينة الرسول ﷺ، و(الكتاب) على كتاب سيبويه رحمه الله تعالى، حتى إنَّهما إذا أُطلقا لَم يتبادر إلى الفهم غيرهما)).

ثمَّ إنَّه حصل وصفُ المدينة بـ (النبوية) في كلام بعض العلماء المتقدِّمين، كابن كثير في البداية والنهاية والتفسير، وكابن حجر في فتح الباري.

انظر: البداية والنهاية (10/262)، والتفسير (4/143)، وفتح الباري لابن حجر (1/569)، و(5/88)، و(6/128، 623)، و(7/198)، و(11/250، 262)، و(13/101).

وفي العصور المتأخرة وُصفت المدينة بـ (المنورة)، ولا شكَّ أنَّ المدينة وسائر أقطار الأرض عمَّها نورُ الهداية ببعثة الرسول ﷺ، وقد

وُصف الرسـول الكـريم ﷺ بأنَّه سـراجٌ منـير، ووُصف القرآن بأنَّه نورٌ، والمراد بـالنور المضـاف إلى القرآن وإلى الرسول ﷺ نـور الهدايـة، وأهل السنَّة المتَّبعون للسلف الصـالِح يُصـدِّقون بـذلك، ويَدعون الناسَ إلى هـذا النـور، وأما غـيرُهم من أهل البدع فإنَّهم يصرفونهم عن النور، ويَدعونهم إلى البدع ومُحدثات الأمور.

ووصـفُ المدينة بـ (النبويـة) في العصـور المتقدِّمة اصـطلاح، ووصـفُها بـ (المنـوَّرة) في عصور متأخرة اصطلاح، ولا مُشاحة في ذلك، فلا وجه لإنكار الكاتب على مَن زعم نُصحَهم وصفها بـ (النبوية) مع أنَّه وصـفٌ فيه إضـافتُها إلى النـبيِّ ﷺ، وهو أيضًا من عمل المتقدِّمين.

* * *

5 ـ قال الكاتب: « تُصرِّون على تسمية

الجهة المشرفة على شؤون الحرمين الشريفين (رئاسة الحرم المكي والمسجد النبوي الشريف)، ولا تقولون (الحرم النبوي الشريف)، وكذلك في إعلانات الطرق الدَّالة على ذلك والموجهة إليه، فلماذا لا يكون مسجدُه صلى الله تعالى عليه وسلَّم حَرَمًا؟ كيف وقد جعل النَّبيُّ ✕ المدينة كلَّها حرَمًا؟)). ثمَّ ذكر حديثين في تحريم المدينة.

والجواب: أنَّ الجهة المسؤولة عن المسجد الحرام والمسجد النبوي سُمِّيت أول إنشائها باسم (الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين) ثمَّ عُدِّل الاسم إلى (الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي) ولا تزال تلك التسمية ، بل إنَّ المياه المبردة في المسجد الحرام والمسجد النبوي مكتوب على أوعيتها هذا الاسم، وكذلك على ثياب العمال في المسجدين، بل إنَّ مَن يضْغَط على رقم هاتف مُقسِّم هذه الرئاسة

بمكة يسمع تسجيلاً بهذه التسمية.

ولَم تُسَمَّ الجهةُ المشرفة على المسجدين الشريفين باسم (رئاسة الحرم المكي والمسجد النبوي الشريف) كما زعم الكاتب، لكنَّها الرغبة في الاعتراض، ولو كان المعترَض فيه ليس له أساس، فمِن أين جاءت هذه التسمية المزعومة، فضلاً عن الإصرار عليها المزعوم؟!

وهذه الورطة التي وقع فيها الكاتب هي من جملة الجنايات التي جناها عليه الذين جَمعوا له مادَّة أوراقه!!

وأهل السُّنَّة يؤمنون بِما صحَّت به الأحاديث عن رسول الله ✕ في تحريم المدينة، وأفضل بُقعة في حرم
المدينة مسجد الرسول ✕، فإنَّ الصلاةَ فيه خيرٌ من ألف صلاة فيما سواه إلاَّ المسجد الحرام، بخلاف سائر حرم المدينة.

لكن إطلاق ((الحرم)) على خصوص مسجده ✕ هو من الخطأ الشائع، ومثله إطلاق ((ثالث الحرمين)) على المسجد الأقصى، فإنَّ الحرمين هما مكة والمدينة، وليس لهما ثالث، والتعبير الصحيح أن يُقال: ثالث المسجدين، أي: المشرفين المعظَّمَين.

* * *

6 ـ أنكر الكاتب على من زعم نصحَهم عدم إيجاد علامة تدلُّ على القبلة الأولى إلى المسجد الأقصى، وذلك في المسجد المسمَّى ((مسجد القبلتين)).

والجواب: أنَّني لَم أجد شيئًا ثابتًا يدلُّ على أنَّ تحويل القبلة كان والنبيُّ ✕ يُصلِّي في مسجد بني سَلِمة الذي قيل: إنَّه مسجد القبلتين، وإنَّما جاء ذلك في كلام الواقدي، ذكره عنه ابنُ سعد

في الطبقات، عبَّر عنه الواقديُّ بقوله: ((ويُقال))، وقد أشـــــار إلى ذلك الحافظ ابن حجر في فتح الباري.

والواقـــديُّ قـــال عنه الحافظ ابن حجر في التقريب:

((متروك مع سـعة علمه))، ولو صـحَّ لَم يكن فيه دليل على فضل هـذا المسـجد؛ لأنَّ الفضـلَ إنَّما يَثبتُ بـــالنَّصِّ عليه مِن رســـولِ الله ✕، كما ثبت ذلك لمسجده ✕ ومسجد قباء.

ثمَّ لا أدري ماذا يريد الكـاتب من إيجـاد علامة تدل على القبلة الأولى عند بناء المسجد؟

هل يريد أن يوضع محـــــــرابٌ إلى جهة بيت المقدس، كالذي جُعل إلى جهة الكعبة؟!

فـإنَّ ذلك لا يجـوز؛ وفي تحقيقه فتنة للنـاس، بأن يُصلي بعض الجُهَّال إلى جهة بيت المقـدس،

وقد حصل ذلك بدون وجود محراب، كما ذكر ذلك بعضُ مَن شـــاهده حـــتى في موسم الحجِّ في العام الماضي (1420هـ)!!

وقد سألني قبل عدَّة سنوات ـ وأنا في مسجد الرسول ﷺ ـ سائلٌ يقول: إنِّي رأيتُ أناساً يُصلُّون فـرادى إلى الجهة الخلفية من مسـجد القبلـتين، فصليتُ ركعتين إلى تلك الجهة؟!

وهـــذه هي النتيجة الـــتي تـــترتَّب على رغبة الكـــــاتب في إيجـــــاد علامة إلى القبلة الأولى المنسوخة، والله الهادي إلى سواء السبيل.

* * *

7 ـ قال الكاتبُ: « لا يجوز اتِّهامُ المسلمين الموحِّدين الـــذي يُصـــلُّون معكم ويَصـــومون ويُزكُّون ويَحُجُّونَ الـــبيتَ مُلبِّين مُـــردِّدين: (لبَّيك

اللَّهمَّ لبَّيك، لبَّيك لا شريك لك لبَّيك، إنَّ الحمدَ والنِّعمةَ لك والملك، لا شريك لك)، لا يجوز شرعًا اتِّهامُهم بالشِّرك، كما تطفَح كتبُكم ومنشوراتكم، وكما يجأرُ خطيبُكم يوم الحجِّ الأكبر من مسجد الخيف بِمِنى صباح عيد الحُجَّاج وكافة المسلمين، وكذلك يُروِّعُ نظيرُه في المسجد الحرام يوم عيد الفطر بهذه التهجُّمات والافتراءات أهلَ مكة والمعتمرين، فانتهوا هداكم اللّٰه تعالى!

وترويعُ المسلم حرامٌ، لا سيما أهالي الحرمين الشريفين، وفي هذا المعنى نصوصٌ شريفةٌ صحيحة)).

وقال أيضاً: ((لقد كفَّرتُم الصوفية ثم الأشاعرة، وأنكرتم واستنكرتُم تقليدَ واتباعَ الأئمة الأربعة (أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل) في حين أنَّ مُقلِّدي هؤلاء كانوا ولا زالوا

يُمثِّلون السوادَ الأعظم من المسلمين، كما أنَّ المنهجَ الرَّسميَ لدولتِكم والذي وَضعه الملك عبد العزيز ــ رحمه الله ــ يَنصُّ على اعتماد واعتبار المذاهب الأربعة، فانتهوا هداكم الله تعالى)).

وقال أيضاً: ((... ولكنَّكم تُكفِّرون الصوفيَّة كافَّة، وتَصفونَهم بالابتداع والشرك!!)).

والجوابُ من وجوه:

الأول: أنَّ قولَه في الذين زعم نصحَهم أنَّهم يتَّهمون المسلمين بالشِّرك، وأنَّهم يُكفِّرون الصوفيةَ كافَّة والأشاعرة هو افتراءٌ عليهم، وهم بُرآءُ من ذلك، وعقيدتُهم هي عقيدة أهل السنَّة والجماعة، وأنَّهم لا يُكفِّرون إلاَّ مَن كفَّره الله ورسولُه، ولا يُكفَّرُ المسلمُ بذنبٍ إلاَّ إذا استحلَّه، وكان ذلك الذنبُ مِمَّا عُلِم من الدِّين تحريمُه بالضرورة، قال الإمامُ الطحاويُّ ــ رحمه الله ــ في عقيدة أهل السنة والجماعة: ((ولا نُكفِّر

أحداً من أهلِ القبلة بذنبٍ ما لَم يستحلَّه)).

والبدعُ تنقسِمُ إلى قسمَين:

ـ بدعةٌ مكفِّرةٌ: كالاستغاثة بالأموات والجِنِّ والملائكـةِ ونحـوهم، وطلبِ الحاجـات وكشـفِ الكُرُبات منهم، قال اللّٰه عـزَّ وجـلَّ: {**أَمَّن يُجِيبُ المُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ ءَإِلَـهٌ مَعَ اللّٰهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ**}.

ـ وبدعةٌ مفسِّقةٌ: كالتوسُّلِ إلى اللّٰه بالأموات والملائكةِ ونحوهم.

والصوفية المذمومون الذين يلهَج بهم الكـاتب من جملة أهلِ البِـــــدع، فيهم مَن بدعتُه مكفِّرة، كابن عربي وأضرابِه، ومَن بدعتُه مفسِّقة.

الثاني: أنَّ الذي اشتملتْ عليه كتبُ مَن زعم نصحَهم، وكذا خطب الخُطباء الـذين أشـار إليهم،

إنَّما هو التحـــذيرُ من الشِّـــرك، والـــدعوةُ إلى إخلاصِ العبادةِ للهِ عزَّ وجلَّ، وهذه هي وظيفـةُ الرُّسُلِ، كما قال اللهُ عزَّ وجلَّ: {**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ**}، وقال سبحانه وتعالى: {**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**}.

والمسـلمون في الحَـرَمين وكـذا غـيرُهم في كـلِّ مكـانٍ يسـمعون الخُطبَ من المسـجدَين الشـريفين في مكة والمدينة بواسـطة الإذاعـة، وليس فيها ـ بِحمد اللهِ ـ ما يُروِّع،
كما زعم الكاتب، بل فيها ما يَسُـرُّ النفـوسَ ويُثلِجُ الصُّدورَ؛ لأنَّها دعوة إلى الحقِّ والهُدى الذي جـاء به المصطفى ×، ونسألُ اللهَ عزَّ وجلَّ أن يَهـديَ قلبَ الكـاتب ومَن على شـاكلتِه ليَـرَوا الحـقَّ حقًّا فيتَّبعوه، والباطلَ باطلاً فيَجتنِبوه.

الثالث: أما قول الكاتب عمَن زعم نصحَهم أنَّهم يُنكرون ويستنكرون التقليدَ والاتباعَ للأئمَّة الأربعة، فهو غير صحيح؛ لأنَّ مَن عنده علمٌ ومعرفةٌ بالدَّليل من الكتاب والسُّنَّة يجبُ عليه الأخذُ بالدليل، كما قال الشافعيُّ رحمه الله: « أجمع النَّاسُّ على أنَّ مَن استبانت له سنَّةُ رسول الله ✕ لَم يكن له أن يَدَعها لقول أحدٍ »، وقال ابنُ خزيمة: « ويَحرُم على العالم أن يُخالف السنَّة بعد علمِه بها ». (فتح الباري 3/95)، وقال أيضًا في رفع اليدين عند القيام من الركعتين: « هو سنَّةٌ وإن لَم يَذْكره الشافعي، فالإسنادُ صحيح، وقد قال: قولوا بالسنَّة ودَعُوا قولي ». (الفتح 2/222).

وأما العاميُّ ومَن لا يتمكَّن من معرفة الدليل فإنَّه يسوغ له التقليد؛ فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قد قال: {**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**}.

قال شيخُ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « إنَّ أهلَ السُّنَّة لَم يقُل أحدٌ منهم: إنَّ إجماعَ الأئمَّة الأربعة حُجَّةٌ معصومةٌ، ولا قال: إنَّ الحقَّ مُنحصِرٌ فيها، وأنَّ ما خرج عنها باطلٌ، بل إذا قال مَن ليس من أتباع الأئمة
ـ كسفيان الثوري، والأوزاعي، والليث بن سعد، ومَن قبلهم من المجتهدين ـ قولاً يُخالف قول الأئمَّة الأربعة، رُدَّ ما تنازعوا فيه إلى الله ورسوله، وكان القولُ الرَّاجحُ هو القول الذي قام عليه الدليل ». منهاج السنة (3/412).

وقال شيخنا شيخ الإسلام العلاَّمة عبد العزيز بن باز
ـ رحمه الله ـ في ردِّه على الصابوني في قوله عن تقليد الأئمة الأربعة: « إنَّه من أوجب الواجبات » قال: « لا شكَّ أنَّ هذا الإطلاقَ خطأٌ؛ إذ لا يجب تقليدُ أحد من الأئمَّة الأربعة ولا غيرهم

مهما كـان علمُـه؛ لأنَّ الحـقَّ في اتِّبـاع الكتـاب والسنَّة لا في تقليد أحد من الناس، وإنَّما قُصارى الأمر أن يكون التقليـدُ سـائغًا عند الضـرورة لِمَن عُـرف بـالعلم والفضل واسـتقامة العقيـدة، كما فصَّـل ذلك العلاَّمـةُ ابن القيم ــ رحمه الله ــ في كتابه "إعلام المـوقعين"، ولـذلك كـان الأئمَّة ــ رحمهم الله ــ لا يَرضـون أن يُؤخذ من كلامِهم إلاَّ ما كان موافقًا للكتاب والسُّـنَّة، قـال الإمـام مالك رحمه الله: (كلٌّ يُؤخذ من قوله ويُـرَدُّ، إلاَّ صـاحب هذا القبر)، يُشير إلى قبر رسـول الله ﷺ، وهكـذا قال إخوانُه من الأئمَّة في هذا المعنى.

فالذي يتمكَّن من الأخذ بالكتاب والسنَّة يتعيَّن عليه ألاَّ يُقلِّد أحدًا من النـاس، ويأخذ عند الخلاف بما هو أقـرب الأقـوال لإصـابة الحـقِّ، والـذي لا يستطيع ذلك فالمشروع له أن يسـألَ أهل العلم، كما قال الله عزَّ وجلَّ: {**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ**

إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ})). مجموع فتاوى ومقالات متنوِّعة (3/52).

وقـــــال شـــــيخنا العلاَّمة محمد الأمين الشنقيطي ـ رحمه الله ـ في كتابه أضواء البيان (7/553 ـ 555): ((لا خلاف
بين أهل العلم في أنَّ الضرورةَ لها أحوالٌ خاصة تستوجب أحكامًا غير أحكام الاختيار، فكلُّ مسلم ألْجأتْه الضرورةُ إلى شيء إلْجاءً صحيحًا حقيقيًّا فهو في سعةٍ من أمره
فيه)) إلى أن قال: ((وبهذا تعلم أنَّ المضطرَّ للتقليد الأعمى اضطرارًا حقيقيًّا، بحيث يكون لا قدرة له ألبتَّة على غيره، مع عدم التفريط لكونه لا قدرة له أصلاً على الفهم، أو له قدرة على الفهم وقد عاقَتْه عوائقُ قاهرة عن التعلُّم، أو هو في أثناء التعلُّم، ولكنَّه يتعلَّم تدريجًا؛ لأنَّه لا يقدر على تعلُّم كل ما يحتاجه في وقتٍ واحد، أو

لم يَجِد كُفْئًا يتعلَّم منه ونحو ذلك، فهو معذورٌ في التقليد المذكور للضرورة؛ لأنَّه لا مَندوحة له عنه.

وأما القادر على التعلُّم المفرِّط فيه والمقـدِّم آراء الرجـال على ما علم من الـوحي فهو الـذي ليس بمَعذور)).

وقـال أيضًا (7/555):ـ ((اعلم أنَّ موقفَنا من الأئمَّة

ـ رحمهم الله ـ من الأربعة وغـيرهم هو موقف سائر المسلمين المُنصِفين منهم، وهو مـوالاتُهم ومحبَّتهم وتعظيمُهم وإجلالُهم والثنـاءُ عليهم بما هم عليه من العلم والتقوى، واتباعُهم في العمل بالكتـاب والسـنة، وتقـديمهما على رأيِهم، وتعلُّم أقوالِهم للاستعانة بها على الحق، وترك ما خالف الكتاب والسنة منها.

وأمَّا المسـائل الـتي لا نصَّ فيهـا، فالصـواب

النظر في اجتهادهم فيها، وقد يكون اتِّباعُ اجتهادهم أصوبَ من اجتهادنا لأنفسنا؛ لأنَّهم أكثر علمًا وتقوى منَّا.

ولكن علينا أن ننظرَ ونحتاطَ لأنفسِنا في أقرب الأقوال إلى رضى الله، وأحوطها وأبعدِها من الاشتباه؛ كما قال ✕: (دَع ما يَريبُك إلى ما لا يريبُك)، وقال: (فمَن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعِرضه).

وحقيقة القول الفصل في الأئمة ـــ رحمهم الله ـــ أنَّهم من خيار المسلمين، وأنَّهم ليسوا معصومين من الخطأ، فكلٌّ ما أصابوا فيه فلهم فيه أجر الاجتهاد وأجرُ الإصابة، وما أخطأوا فيه فهم مأجورون على كلِّ حال، لا يلحقُهم ذمٌّ ولا عيبٌ ولا نقصٌ في ذلك.

ولكن كتاب الله وسنَّة نبيِّه ✕ حاكمان عليهم وعلى أقوالهم، كما لا يخفى.

فلا تَغْلُ في شيءٍ من الأمر واقتصد

كلا طرفي قصد الأمور ذميمُ

فلا تكُ مِمَّن يذُمُّهم وينتقصُهم، ولا مِمَّن يعتقد أقوالَهم مغنية عن كتاب اللّٰه وسنة رسوله أو مقدَّمة عليهما)). اهـ.

هذه بعض أقوال المحقِّقين من أهل العلم في حكم التقليد، وعلى هذا فليس هناك إنكارٌ ولا استنكارٌ كما زعم الكاتب، بل إنَّ الشيخَ العلاَّمة المحدِّث محمد ناصر الدين الألباني ــ رحمه اللّٰه وهو الذي له نصيبٌ كبيرٌ من حِقد الرِّفاعي والبوطي ــ قد قال في ردِّه على أبي غدَّة:

((إنَّ الانتسابَ إلى أحدٍ من الأئمَّة كوسيلة للتعرُّف على ما قد يفوت طالبَ العلم من الفقه بالكتاب والسنَّة أمرٌ لا بدَّ منه شرعًا وقدَرًا؛ فإنَّ ما لا يقوم الواجب إلاَّ به فهو واجب، وعلى هذا

جـرى السَّـلفُ والخلـفُ جميعـاً، يتلقَّى بعضُـهم العلمَ عن بعض، ولكن الخلف ـ إلاَّ قليلاً منهم ـــ خالف السَّلفَ حين جعل الوسـيلةَ غايـةً، فـأوجب على كلِّ مسلم ـ مهما سَما في العلم والفقه عن اللّٰه ورســـوله من بعد الأئمة الأربعة ـــ أن يُقلِّدَ واحــداً منهم، لا يَميـلُ عنه إلى غـيره، كما قـال أحدهم: وواجبٌ تقليد حَبْرٍ منهم!)).

وهذا الذي قاله الشيخ الألبانيُّ ـــ رحمه اللّٰه ـــ عن المُتعصِّبة للمذاهب قد جاء عن الشـيخ أحمد الصـــاوي في حاشـــيته على الجلالين عند قوله تعالى: {**وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللّٰهُ**}؛ إذ فهم الآية فهماً خاطئاً، وبَنَى عليه حكماً من أبطل الباطل، أوضح الردَّ عليه شيخُنا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ـ رحمه اللّٰه ـ في تفسيره أضـواء البيـان عند قـول اللّٰه عزَّ وجلَّ: {**أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**}، وكلام الصاوي الباطلُ هو

قولُه ـ وبئس ما قال ـ: ((ولا يجـوز تقليـدُ ما عـدا المــذاهب الأربعــة، ولو وافق قــولَ الصــحابة والحديثَ الصحيح والآية!! فالخارجُ عن المـذاهب الأربعة ضـالٌّ مُضِـلٌّ، وربَّما أدَّاه ذلك للكفـر؛ لأنَّ الأخذَ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفـر!!!)).

وهــذا كلام من الصــاوي من أســوإ الكلام وأبطل الباطــل، ولو بحث أحــدٌ عن كلامٍ ســيِّءٍ يُنسبُ إلى مسلم قد لا يَجِد أسـوأ منـه، وقد جـاء ذلك نتيجة لتفسـيره للقــرآن بــالرأي والتعصُّــب للمذاهب، نسأل اللّٰه السلامةَ والعافية.

الرابع: وأمَّا الملك عبد العزيز ـ رحمه اللّٰه ـ فإنَّه على منهج السَّــلف، يحــترمُ الأئمَّة الأربعة ويُوقِّرُهم، ويُعوِّلُ على الأدلَّة من الكتاب والسنَّة، قـال رحمه اللّٰه: ((إنَّنا لم نُطِع (ابن عبد الوهـاب) وغيره إلاَّ في ما أيَّدوه بقول من كتاب اللّٰه وسـنَّة

رسـوله، وقد جعلنا الله ـ أنا وآبـائي وأجـدادي ـ مُبشِّرين ومُعلِّمين بالكتاب والسـنة وما كـان عليه السلف الصالح، ومتى وجدنا الدليلَ القويَّ في أيِّ مذهب من المذاهب الأربعة رجعنا إليه وتَمسَّـكنا به، وأمَّا إذا لَم نَجد دليلاً قويًّا أخذنا بقـول الإمـام أحمد)). من تاريخ البلاد العربية السـعودية لمنـير العجلاني (1/229).

* * *

8 ـ قال الكاتبُ: ((تُرَدِّدون جملة الحديث الشريف: ((كلُّ بدعة ضلالة)) بـدون فهم للإنكـار على غـــيركم، بينما تُقِـــرُّون بعضَ الأعمـــال المخالفة للسُنَّة النَّبوية،
ولا تنكرونها ولا تَعُدُّونها بدعةً، سـنذكر بعضًا منها فيما يأتي ...)).

ويُجاب عن هذا من وجوه:

الأول: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ بيَّن في حديث العرباض بن سارية أنَّه سيوجد الاختلافُ في هذه الأُمَّة، ومع وجوده يكون كثيراً، حيث قال: ((فإنَّه مَن يَعِش منكم فسيرى اختلافًا كثيراً))، ثم أرشدَ ﷺ عند وجود هذا الاختلاف

إلى الطريق الأمثل والمنهج الأقوم، وهو اتباع السنن

وترك البِدع، فقال: ((فعليكم بسُنَّتِي وسنَّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضُّوا عليها بالنَّواجذ، وإيَّاكم ومُحدثات الأمور؛ فإنَّ كلَّ مُحدَثةٍ بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة))، فإنَّه ﷺ رغَّب في السُّنن بقوله: ((فعليكم بسُنَّتي ...))، ورهَّب من البدع بقوله: ((وإيَّاكم ومُحدثات الأمور، فإنَّ كلَّ مُحدَثةٍ بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة)).

ومثل ذلك حديث ((ستفترق هذه الأُمَّة على ثلاث وسبعين فرقة، كلُّها في النَّار إلاَّ واحدة.

قالوا: مَن هي
يا رسـول اللّٰه؟ قـال: من كـان على ما أنا عليه اليوم وأصحابي)).

فقد بيَّن ✕ أنَّ أمَّةَ الإجابة ستفترق هـذا التفـرُّق الكثـير، وأنَّه لا ينجو مِن العـذاب إلاَّ مَن كـان على ما كـان عليه الرسـول ✕ وأصـحابُه، وهم الذين يتَّبعون الكتابَ والسـنَّةَ وما كـان عليه سـلفُ الأُمَّة، وقد قـال الإمـام مالك رحمه اللّٰه: ((لن يصلح آخر هـذه الأمة إلاَّ بما صلح به أولها)).

وروى الإمـام محمد بن نصر المـروزي في كتـاب السـنة بإسـنادٍ صـحيح عن ابن عمر رضي اللّٰه عنهما قـال: ((كـلُّ بدعة ضـلالةٌ وإن رآها الناس حسنة)).

وذكر الشاطِبيُّ في الاعتصام (1/28) أنَّ ابن الماجشون قال: سـمعتُ مالكًا يقـول: ((مَن

ابتدع في الإسلام بدعةً يراها حسنةً فقد زعم أنَّ محمدًا خان الرسالة؛ لأنَّ الله يقول: {**اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُم**} فما لم يكن يومئذ دينًا فلا يكون اليومَ دينًا)).

وقال أبو عثمان النيسابوري: ((مَن أمَّر السنَّةَ على نفسِه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومن أمَّر الهَوَى على نفسِه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة)). انظر: حلية الأولياء (10/244).

وقال سَهل بن عبد الله التستري: ((ما أحدثَ أحدٌ في العلم شيئًا إلاَّ سُئل عنه يوم القيامة، فإن وافق السُّنَّةَ سَلِم، وإلاَّ فلا)). فتح الباري (13/290).

وعلى هذا، فإنَّ الفهمَ الصحيحَ لقوله ✕: ((وكلُّ بدعة ضلالة)) هو بقاءُ اللفظ على عمومه، وأنَّ كلَّ ما أُحدث في دين الله فهو بدعة، وهو مردودٌ على مَن جاء به؛ لقوله ✕

في الحديث المتفق على صحَّته: ((مَن أحدث في أمرنا هـــذا ما ليس منه فهو ردٌّ))، وفي لفـــظٍ لمسلم: ((مَن عمل عملاً ليس عليه أمرُنا فهو ردٌّ)).

أمَّا القولُ بـأنَّ مِن البـدعِ ما هو حَسـنٌ فغـير صـحيح؛ لأنَّه يُخـالف قـول الرسـول ✕: ((وكل بدعة ضلالة))، كما مرَّ إيضاحه في كلام ابن عمر ومالك وغيرهما المتقدِّم قريبًا.

ولا يَصِـحُّ الاسـتدلالُ لهـذا القـول بقوله ✕: ((مَن سَنَّ في الإسلام سنَّةً حسنةً فله أجرها وأجر مَن عمل بها ...))، الحـديث رواه مسـلم؛ لأنَّ سـياقَه في القـدوة في الخـير؛ لأنَّ النَّبِيَّ ✕ لَمَّا حثَّ على الصـدَقة، أتى رجـلٌ من الأنصـار بصُـرَّةٍ كبـيرة، فتابعه الناس على الصدقة، فعند ذلك قال النَّبِيُّ ✕ ما قال.

الثاني: ذكر الكاتب أنَّ مَن زعم نُصحَهم

يُقــرُّون بعضَ الأعمــال المخالفة للسُّــنَّة، ولا يعدُّونَها بدعة، ومن أمثلة ذلك عنده وضعُ حواجز بين الرِّجال والنِّساء في المسجد النَّبوي. قال عن ذلـك: ((وهـذه بدعـةٌ شـنيعةٌ؛ لأنَّه إحـداثُ ما لم يحـدُث في زمنه عليه الصـلاة والسـلام والسـلف الصالح، فقد كان يَلِي الإمامَ صفوفُ الرِّجـال، ثم الصِّـبيان، ثم النِّسـاء، يُصـلُّون جميعًا وبلا حـاجز خلفه صلَّى الله تعالى عليه وآله وسلم)).

ويُجاب عن ذلك: بأنَّ من عجيب أمر الكاتب أن يرى أنَّ هـذا العمـلَ بدعـةٌ، مع أنَّ فيه سترًا للنساء، وصيانةً لهنَّ من نظر الرِّجـال إليهنَّ، ونظـرهنَّ إلى الرِّجـال، وقد ثبت في الصـحيحين من حـديث أسـامة بن زيد رضي الله عنهمـا، عن النَّبِيِّ ✕ أنَّه قال: ((ما تركتُ بعدي فتنةً أَضَرَّ على الرِّجال من النسـاء))، وروى مسـلم في صـحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ النَّبِيَّ ✕ قال:

« خيرُ صفوف الرِّجال أوَّلُها، وشرُّها آخرُها، وخير صفوف النِّساء آخرُها، وشرُّها أوَّلُها ».

وجاء في آداب النساء في صلاتِهنَّ مع النَّبِيِّ ✕ عن عائشة رضي الله عنها أنَّها قالت: « إن كان رسول الله ✕ لَيُصلِّي الصبحَ فينصرفَ النساءُ مُتلفِّعاتٍ بِمُروطِهنَّ، ما يُعرفنَ من الغَلَس »، رواه البخاري ومسلم.

وفي صحيح البخاري عن أمِّ سلمة رضي الله عنها:

« أنَّ النساءَ في عهد رسول الله ✕ كُنَّ إذا سلَّمنَ من المكتوبة قُمْنَ، وثبتَ رسولُ الله ✕ ومَن صلَّى من الرِّجال ما شاء الله، فإذا قام رسولُ الله ✕ قام الرِّجال ».

فهذان حديثان عن النَّبِيِّ ✕ في الترغيب في تباعد النساء عن الرجال، وبعدَهما حديثان في آداب صلاة النساء مع الرسول ✕، ثم بعد ذلك

تغيَّرت حال النساء، حتى قالت عائشـةُ رضي اللّٰه عنها: « لو أنَّ رسولَ اللّٰه ✕ رأى ما أَحْدَثَ النساءُ لَمَنَعَهنَّ المسـجد، كما مُنعت نسـاءُ بَنِي إسـرائيل »، رواه البخاري ومسلم.

وفي هذا الزمان تغيَّرت أحوال النسـاء كثـيرًا، وحصل منهنَّ التـبرُّجُ والسُّـفور، وسَـهُل الوصـول إلى مكة والمدينة للرِّجال والنِّسـاء، والمسـجدان الشـريفان حصل فيهما توسـعةٌ كبـيرة، والنسـاء تـأتي إليهما من جهـاتٍ مختلفـة، وخُصِّـص لهنَّ أمـاكن مُعيَّنـة، وجُعل حـواجز؛ حـتى لا يختلِطنَ بالرِّجـال، فـأيُّ مـانعٍ يَمنَـعُ من ذلـك؟! بل وكيف يجوز أن يصفَه الكاتبُ بأنَّه بدعةٌ شنيعة؟!

مع أنَّ أوراق الكـاتب اشـتمَلت على بـدَعٍ واضحة جليَّة لَم يعتبِرها بدعًا، كبدعة بناء القِبـاب على القبور، والاحتفال بالمولد النَّبويِّ!!

* * *

9 ـ أشاد في أوراقه بتعظيم القبور وبناء القباب عليها، فوصف العيدروس فقال: ((الإمام الربَّاني الحبيب العدني، بركة عدن وحضرموت رحمه الله تعالى))، ونَوَّه بِمشهده وبناء قُبَّتِه، ووصفها بأنَّها ((مباركة!!)).

والجواب: أنَّ البناءَ على القبور واتخاذها مساجد قد جاءت أحاديث كثيرة عن رسول الله ✕ في تحريمه والتحذير منه؛ لأنَّه من وسائل الشرك، وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي الهيَّاج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب: ((ألاَ أبعثُكَ على ما بعثنِي عليه رسول الله ✕؟ أن لا تَدَعَ تِمثالاً إلاَّ طمَستَه، ولا قبراً مُشرفًا إلاَّ سوَّيتَه))، وفي لفظ: ((ولا صورةً إلاَّ طَمستَها)).

وفي الصحيحين من حديث عائشة وابن

عباس رضي الله عنهما قالا: ((لَمَّا نُزل برسول الله ✕ طفِق يطرحُ خميصةً له على وجهه، فإذا اغتمَّ بها كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك: لعنةُ الله على اليهود والنصارى، اتَّخذوا قبورَ أنبيائهم مساجد يُحذِّرُ ما صنعوا)).

وقولهما رضي الله عنهما في الحديث: ((لَمَّا نُزل)) يَعنيَان الموتَ، وقد اشتمل هذا الحديث على ثلاثة أمور:

الأمر الأول: الدعاء على اليهود والنصارى باللَّعن.

الأمر الثاني: بيان سبب اللَّعن، وهو اتخاذ قبور أنبيائهم مساجد.

والأمر الثالث: بيان الغرض من ذكر ذلك، وهو تحذيرُ هذه الأمَّة من الوقوع فيما وقع فيه اليهود والنصارى، فيستحقُّوا اللَّعنة.

وثبت في صحيح مسلم من حـديث جنـدب بن عبد الله البَجَليِّ أنَّه قال: سمعتُ النَّبِيَّ ✕ قبل أن يموت بخمسٍ، وهو يقول: ((إنِّي أبرَأُ إلى الله أن يكون لي منكم خليلٌ، فإنَّ الله قد اتَّخـذني خليلاً، كما اتَّخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنتُ متَّخـذًا من أُمَّتي خليلاً لاتَّخـــذتُ أبا بكر خليلاً، ألاَ وإنَّ مَن كـــان قبلكم كـانوا يتَّخـذون قبـور أنبيـائهم وصـالِحيهم مساجد، ألاَ فلا تتَّخذوا القبورَ مساجد، إنِّي أنهاكم عن ذلك)).

وفي الصـحيحين عن أبي هريـرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ✕: ((قاتَل الله اليهـودَ؛ اتَّخـــذوا قبـــورَ أنبيـــائهم مســـاجد))، وثبت في الصـــحيحين من حـــديث عائشة رضي الله عنها وصْفُ الذين يَبنـونَ المسـاجد على القبـور بـأنَّهم شرارُ الخَلق عند الله.

وهــذه الأحــاديثُ الثابتة عن رســول الله ✕

اشـتملت على التحـذير من اتِّخـاذ القبـور مسـاجد مطلقــاً، وبعضُــها يُفيد حصــولَ ذلك منه قبل أن يمــوت بخمسٍ، وبعضُــها يُفيد حصــولَ ذلك عند نزول الموتِ به.

والتحــذيرُ من ذلك جــاء على صِـيَغٍ متعــدِّدة، فجـــاء بصـــيغة الـــدعاء باللَّعنة على اليهـــود والنصــارى، وجــاء بصــيغة الــدعاء بمقاتلَة الله لليهـود، وجـاء بوصف فـاعلي ذلك بـأنَّهم شـرارُ الخَلق عند الله، وجـاء بصـيغة ((لا)) الناهية في قوله:

((ألا فلا تتَّخـذوا القبـورَ مسـاجد))، وبصـيغة لفظ النَّهي بقوله: ((إنِّي أنهاكم عن ذلك)).

وهذا مِن كمال نُصحِه لأمَّتِه ✕، وحرصِه على نَجاتِها وشـفقتِه عليهـا، صـلَّى الله وسـلَّم وبـارك عليه، وجزاه أوفَى الجزاء، وأثابَه أَتَمَّ مثوبَة.

واتِّخاذ القبـور مسـاجد يشـمل بنـاء المسـجد

على القبر، كما قال ﷺ في النصارى: « أولئك إذا كان فيهم الرَّجل الصالِح فمات بَنَوا على قبره مسجداً، وصوَّروا فيه تلك الصُّوَر، أولئك شرارُ الخلق عند الله »، وهو في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها.

ويَشمل قَصدَها واستقبالَها في الصلاة، كما قال ﷺ: « لا تجلِسوا على القبور، ولا تُصلُّوا إليها »، أخرجه مسلم من حديث أبي مَرثَد الغَنَويِّ رضي الله عنه. ويَشمل السجودَ على القبر من باب أولى؛ إذ هو أخصُّ من الصلاة إليه.

وذكر الذهبيُّ في سير أعلام النبلاء (8/27) في ترجمة عبد الله بن لهيعة أنَّ الدَّفنَ في البيوت من خصائص النَّبِيِّ ﷺ.

وأورد ابنُ كثير في البداية والنهاية ترجمة السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد القرشية الهاشمية في حوادث سنة (208هـ)، ونقل عن

ابن خلّكان أنَّه قال: « ولأهل مصر فيها اعتقاد »، ثم قال ابنُ كثير: « وإلى الآن قد بـالغَ العامَّةُ في اعتقادهم فيها وفي غيرها كثـيراً جـدًّا، ولا سـيما عوامُّ مصر، فإنَّهم يُطلقـون فيها عبـارات بَشِـعة، فيها مجازَفـةٌ تـؤدِّي إلى الكفر والشِّـرك، وألفاظًا كثيرة ينبغي أن يعرفوا أنَّها لا تجــوز ... »، إلى أن قـال: « ... والـذي ينبغي أن يُعتقد فيهـا: ما يليق بِمِثلِها من النساء الصالحات، **وأصلُ عبادة الأصنام من المغالاة في القبور وأصحابها**، وقد أمر النَّبِيُّ ✕ بتسوية القبور وطمسِها، والمغالاةُ في البَشَر حرامٌ ... ».

وكـانت وفـاةُ ابن كثـير ــ رحمه اللّٰه ــ سـنة (774هـ).

وقد ألَّف في هذه المسألة العلاَّمةُ الشوكاني المتوفى سنة (1250هــ) رسـالةً سَـمَّاها "شـرح الصدور بتحريم رفع القبور" أجادَ فيها وأفاد، قـال

فيهـــا: ((اعلم أنَّه قد اتَّفق النـــاسُ ســـابقهم ولاحِقهم وأولهم وآخرهم من لدن الصـحابة إلى هذا الوقت أنَّ رفعَ القبورِ والبنـاءَ عليها بدعـةٌ من البدع التي ثبت النَّهيُ عنها واشتدَّ وعيدُ رسولِ الله ✕ لفاعلِهـــا، ولم يُخـــالف في ذلك أحـــدٌ من المسلمين أجمعين، لكنَّه وقع للإمام يحيى مقالة تدلُّ على أنَّه يرى أنَّه لا بأس بالقبـاب والمشـاهد على قبور الفضلاء، ولم يَقل بذلك غـيرُه ولا روي عن أحـدٍ سـواه، ومَن ذكرها من المـؤلفين في كتب الفقه من الزيدية فهو جـــــــرى على قوله واقتداء به، ولم نجد القول بذلك مِمَّن عاصَـرَه أو تقـدَّم عصـره عليـه، لا من أهل الـبيت ولا من غـــيرهم، ثم ذكر أنَّ صـــاحب البحر الـــذي هو مـدرس كبـار الزيدية ومرجع مـذهبهم ومكـان البيـــان لخلافهم في ذات بينهم، وللخلاف بينهم وبين غيرهم لم ينسب القول بجـواز رفع القبـاب

والمشـاهد على قبـور الفضـلاء إلاَّ إلى الإمـام يحيى وحده، فقال ما نصُّه: مسألة: الإمام يحيى: لا بـأس بالقبـاب والمشـاهد على قبـور الفضـلاء والملوك؛ لاسـتعمال المسـلمين ولم ينكـر. انتهى ...)) إلى أن قـال الشـوكاني رحمه الله: ((فـإذا عـرفتَ هـذا تقـرَّر لك أنَّ هـذا الخلافَ واقـعٌ بين الإمـام يحـيى وبين سـائر العلمـاء من الصـحابة والتـــابعين ومن المتقـــدِّمين من أهل الـــبيت والمتأخرين، من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم، ومن جميع المجتهـــدين أولهم وآخـــرهم، ولا يعترض هذا بحكاية مَن حكى قول الإمام يحـيى في مؤلَّفِه مِمَّن جـاء بعـده من المـؤلِّفين، فـإنَّ مجـــردَ حكاية القـــول لا يـــدلُّ على أنَّ الحـــاكي يختاره ويذهب إليه ...)). إلى أن قـال رحمه الله: ((فـإذا أردتَ أن تعـرفَ هل الحق ما قاله الإمـام يحيى أو

ما قاله غـيرُه من أهل العلم فـالواجبُ عليك رد هـذا الاختلاف إلى ما أمرنا الله بـالردِّ إليه وهو كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ...)).

ثم ذكر بعضَ الآيـات المقتضـية ذلـك، وبيَّن وجـهَ دلالتها على المطلـوب، ثم ذكر جملـةً من الأحـاديث الكثـيرة الـواردة عن الرسـول ﷺ في تحـريم اتِّخـاذ القبـور مسـاجد، والـتي مـرَّ ذكر بعضـها، وبيَّن أنَّ ذلك يُفضي بفاعله إلى الشـرك بالله، ثم قـال: ((فلا شـكَّ ولا ريب أنَّ السـببَ الأعظمَ الذي نشأ منه هذا الاعتقـاد في الأمـوات هو ما يُزيِّنه الشـيطان للنـاس من رفـع القبـور ووضـع السـتور عليها وتجصيصِـها وتزيينها بـأبلغ زينة، وتحسينها بأكمل تحسـين، فـإنَّ الجاهـلَ إذا وقعت عينُه على قبرٍ من القبور قد بُـنيت عليه قُبَّة فدخلها ونظر على القبور الستورَ الرائعة والسُّـرُجَ المتلألئة وقد سـطعت حوله مجـامر الطيب، فلا

شـكَّ ولا ريب أنَّه يمتلئ قلبُه تعظيماً لـذلك القـبر، ويضـــيق ذِهنُه عن تصـــوُّر ما لهـــذا الميت من المنزلة، ويدخله من الرَّوعة والمهابة ما يزرع في قلبه من العقائد الشـيطانية الـتي هي من أعظم مكائد الشـيطان للمسـلمين، وأشد وسـائله إلى ضلال العباد، مِمَّا يزلزله عن الإسـلام قليلاً قليلاً، حتى يطلب من صاحب ذلك القبر ما لا يقـدر عليه إلاَّ الله سبحانه، فيصير في عدادِ المشـركين، وقد يحصل له هذا الشركُ بأولِ رؤيةٍ لذلك القبر الذي صار على تلك الصفة، وعند أول زَورة؛ إذ لا بـدَّ له أن يخطرَ ببالِه أنَّ هذه العنايةَ البالغة من الأحياء بمثل هذا الميت لا تكون إلاَّ لفائدة يرجونها منـه، إمَّا دُنيوية أو أُخرويَّة، فيستصـغرُ نفسَـه بالنِّسـبة إلى مَن يراه من أشباه العلماء زائرًا لـذلك القـبر وعاكفًا عليه ومُتمسِّـــحًا بأركانـــه، وقد يجعل الشيطان طائفة من إخوانِه من بـني آدم يَقفـون

على ذلك القبر يُخادعون مَن يأتي إليه من الزائرين، يُهولون عليهم الأمر، ويصنعون أموراً من أنفسهم وينسبونها إلى الميت على وجهٍ لا يفطن له مَن كان من المغفَّلين، وقد يصنعون أكاذيب مشتملة على أشياء يُسمُّونَها كراماتٍ لذلك الميت، ويَبُثونها في الناس، ويُكرِّرون ذكرَها في مجالِسهم وعند اجتماعهم بالناس، فتشيع وتستفيض ويتلقَّاها مَن يحسن الظنَّ بالأموات، ويَقبَل عقلُه ما يُروى عنهم من الأكاذيب فيرويها كما سَمِعها، ويتحدَّث بها في مجالِسِه، فيقع الجُّهالُ في بلِيَّةٍ عظيمة من الاعتقاد الشركيِّ، وينذرون على ذلك الميت بكرائم أموالهم، ويحبسون على قبره من أملاكِهم ما هو أحبُّها إلى قلوبهم؛ لاعتقادِهم أنَّهم ينالون بجاه ذلك الميت خيراً عظيماً وأجراً كبيراً، ويعتقدون أنَّ ذلك قربةٌ عظيمةٌ وطاعةٌ نافعةٌ وحَسنةٌ متَقبَّلةٌ،

فيحصل بـــذلك مقصـــود أولئك الـــذين جعلهم الشيطانُ من إخوانِه من بني آدم على ذلك القبر، فـإنَّهم إنَّما فعلـوا تلك الأفاعيـل، وهوَّلـوا على الناس بتلك التهاويل، وكذبوا تلك الأكـاذيب لينـالوا جانبًا من الحُطـام من أمـوال الطغـام الأغتـام، وبهـذه الذريعـةِ الملعونـةِ والوسـيلةِ الإبليسـيَّة تكاثرت الأوقاف على القبور، وبلغت مبلَغًا عظيمًا حتى بلغت غلاَّتُ ما يُوقف على المشهورين منهم ما لو اجتمعت أوقافُه لبلغ ما يقتاته أهل قرية كبـــيرة من قـــرى المســـلمين، ولو بِيعت تلك الحبائسُ الباطلة لأغنى اللّٰهُ بها طائفـةً كبـيرةً من الفقـــراء، وكلُّها من النَّذر في معصـــية اللّٰه، وقد صـحَّ عن رسـول اللّٰه ✕ أنَّه قـال: « لا نـذر في معصية اللّٰه »، وهي أيضًا من النَّذر الذي لا يُبتَغَى به وجه اللّٰه، بل كلُّها من النذور الـتي يسـتحقُّ بها فاعلُها غضب اللّٰه وسخطه؛ لأنَّها تُفضي بصـاحبها

إلى ما يفضي به اعتقاد الإلـهيَّة في الأمـوات من تزلـزل قـدَم الـدِّين؛ إذ لا يَسـمحُ بـأحبِّ أمواله وألصقها بقلبه إلاَّ وقد زرع الشيطان في قلبه مِن مَحبَّةِ وتعظيم وتقـديس ذلك القـبر وصـاحبه، والمغـالاة في الاعتقـاد فيه ما لا يعـود به إلى الإسلام سالِمًا، نعوذ بالله من الخذلان ...)).

إلى أن قال: ((وأمَّا ما استدلَّ به الإمام يحـيى حيث قـال: (لاسـتعمال المسـلمين ذلك ولم ينكروه)، فقولٌ مردودٌ؛ لأنَّ علمـاءَ المسـلمين ما زالوا في كلِّ عصرٍ يروون أحاديث رسـول الله ✕ في لعن مَن فعل ذلك، ويُقرِّرون شريعةَ رسـول الله ✕ في تحريم ذلك في مدارسِـهم ومجـالس حُفَّاظهم، يرويها الآخـرُ عن الأوَّل، والصـغيرُ عن الكبـير، والمتعلِّمُ عن العـالِمِ من لـدن أيـام الصحابة إلى هذه الغاية، وأوردها المحدِّثون في كتبهم المشـهورة من الأمَّهـات والمسـندات

والمصنفات، وأوردها المفسِّرون في تفاسيرهم، وأهـلُ الفقه في كتبهم الفقهيـة، وأهـلُ الأخبـار والسِّيَر في كتب الأخبـار والسِّـيَر، فكيف يُقـال إنَّ المسـلمين لم يُنكـروا على مَن فعل ذلـك، وهم يـــروون أدلَّةَ النَّهي عنه واللَّعن لفاعله خلفًا عن سلف في كلِّ عصرٍ؟! ومع هـذا فلم يـزل علمـاءُ الإسـلام منكـرين لـذلك مبـالِغين في النهي عنـه، وقد حكى ابن القيِّم عن شــيخه تقيِّ الــدِّين ـــ رحمهما الله ـ وهو الإمام المحيط بمذهب سـلف هـذه الأمة وخلفِها أنَّه قد صـرَّح عامـةُ الطوائـفُ بالنَّهي عن بنـاء المسـاجد على القبـور، ثم قـال: وصرَّح أصـحاب أحمد ومالك والشـافعي بتحـريم ذلــك، وطائفــةٌ أطلقت الكراهــة، لكن ينبغي أن يُحمل على كراهة التحــريم؛ إحســانًا للظنِّ بهم، وأن لا يُظنَّ بهم
أن يُجوِّزوا ما تواتَر عن رسول الله ✕ لعن فاعله والنهي عنه)). انتهى.

هذه مقتطفاتٌ مِمَّا اشتملت عليه رسالة هذا الإمام
من الإيضاح والتحقيق في هذه المسألة التي تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ فيها، وأَجمعَ العلماءُ على حكمِها، ومع ذلك فقد تحقَّق للشيطان مراده في كثير من البلاد الإسلامية من مخالفة كثير من الناس ما تواتر وانعقد عليه الإجماع من تحريم البناء على القبور واتِّخاذها مساجد، وكأنَّ الإجماعَ في نظرهم انعقد على جواز واستحباب ذلك، فالله المستعان ونعوذ بالله من الخذلان.

وعلى قاعدة ابن جرير التي ذكرها ابنُ كثير عند تفسيره قوله تعالى: {**وَلاَ تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ**}، وهي أنَّ خلاف الواحد أو الإثنين لا يُؤثِّر في الإجماع، فإنَّ هذه المسألةَ

من مسائل الإجماع، وعلى قول الحافظ ابن حجر في الفتح (2/219) أنَّه لا يُعتدُّ بخلاف الزيدية، فإنَّ المسألةَ أيضًا من مسائل الإجماع.

وهذا المعنى الذي ذكره الشوكانيُّ ــ رحمه الله ـ من الافتتان بالقبور وتحبيس الأموال عليها وعمل النذور لها نَظَمه الشاعر المصري حافظ إبراهيم المتوفى سنة (1351هـ) فقال يَصف واقعَ المسلمين المؤلِم:

أحياؤنا لا يُرزقون بدرهم
وبألفِ ألفٍ تُرزَقُ الأمواتُ

مَن لِي بِحَظِّ النَّائِمين بِحفرة
قامت على أحجارها الصلواتُ

يسعى الأنام لَها ويجري حولَهَا
بَحْرُ النذورِ وتُقرأ الآياتُ

ويُقال هذا القطب باب المصطفى

ووسيلةٌ تـقضَى بها الحاجــاتُ

وإذا تأمَّل العاقـــــلُ ما ورد عن النَّبِيِّ ✕ من الأحـاديث الكثيرة في تحـريم البنـاء على القبـور واتخاذها مسـاجد، وإجمـاع أهل العلم على ذلك وما نُقل عنهم في ذلـك، ولا سـيما قـول الحافظ ابن كثـير رحمه الله: ((وأصل عبـادة الأصـنام من المغالاة في القبور وأصحابها))، ثم نظر في كلام الكـاتب عن العيـدروس ووَصـفه بأنَّه بركة عـدَن وحضرموت، وتنويهه بمشهده وبناء قُبَّته، ووصفها بأنَّها مباركة، تبيَّن له الفـرقُ بين الحـقِّ والباطـل، والهُــدى والضــلال، ومَن يــدعو إلى الجَنَّة ومَن يدعو إلى النار!!

وإنِّي أنصَحُ الأستاذ الرفاعي والدكتور البوطي أن يتَّقــوا الله في أنفسِــهم وفي المســلمين، فلا يكونـــون عونًا لهم على الافتتـــان بـــالقبور، بل يكونـــون عونًا لهم على الهداية إلى الصـــراط

المستقيم، وقد قال رسول الله ﷺ: ((مَن دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور مَن تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا))، رواه مسلم.

* * *

10 ـ أشاد الكاتب في أوراقه بقصيدة البُردة للبوصيري في مدح الرسول ﷺ!

والجواب: أنَّ مدحَ الرسول ﷺ منه ما هو محمودٌ، ومنه ما هو مذمومٌ، فالمحمودُ مَدْحُه ﷺ بِما يليقُ به من غير غُلُوٍّ وإطراء، والمذمومُ منه ما كان مُشتملاً على الغُلُوِّ والإطراء، ومجاوزة الحدِّ، ومنه بعض أبيات البُردة للبوصيري.

وقد مدحتُ النَّبِيَّ ﷺ بما يليقُ به في كتابي "من أخلاق الرسول الكريم ﷺ"، ومِمَّا قلتُ في

شرح الحديث: « لا تُطروني كما أطـرت النصـارى ابنَ مـــريم، فإنَّما أنا عبـــده، فقولـــوا: عبد الله ورسوله » من كتابي "عشرون حـديثًا من صـحيح البخاري" المطبوع قبل ثلاثين عامًا، قلتُ:

مَدْحُ الرسـول ✕ منه ما هو محمـودٌ، ومنه ما هو مذمومٌ، فالمحمودُ هو أن يُوصَف بكلِّ كمـالٍ يليق بالإنســان، فهو ✕ أعلمُ النــاس وأنصـحُهم وأخشـــاهم لله وأتقـــاهم وأفصـــحُهم لســـانًا وأقـواهم بيانـًا، وأرجحُهم عقلاً، وأكـثرُهم أدبـًا، وأوفرُهم حِلمًا، وأكملُهم قوَّةً وشجاعة وشـفقة، وأكرمُهم نفسًا، وأعلاهم منزلـة، وكـلُّ وصف هو كمالٌ في حـقِّ الإنسـان فلِسـيِّد ولد آدم صـلوات الله وســلامه عليه منه القِســطُ الأكــبر والحــظُّ الأوفر، وكلُّ وصفٍ يُعتبر نقصًا في الإنســان، فهو أسلم الناس منه وأبعدهم عنه، فلقد اتَّصف بكـلِّ خُلُق كــريم، وسَــلِم مِن أدنى أيِّ وصــفٍ ذميمٍ،

وحَسبُه شرفًا قول الله تعالى فيه: {**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**}، قد والله بلَّغ البلاغَ المبين، وأدَّى الأمانــةَ على أكمل وجــه، ونصَــح للأمَّة غايــةَ النُّصح، ببيان ليس وراءَه بيان، ونصحٍ يفوق نصحَ أيِّ إنسان، فكلُّ ثناءٍ على سيِّد الأولين والآخــرين ✕ من هذا القبيل فهو حقٌّ، مع الحَذر من تجـاوز الحــدِّ والخــروج عن الحــقِّ، وما أحلى وأجمــلَ وصفه ✕ بكونه عبد الله ورسـوله، تحقيقًا لرغبته عليه الصـلاة والسـلام، وامتثـالاً لأمـره في قوله في هذا الحديث:

« وقولوا عبد الله ورسوله ».

والمدحُ المـذمومُ هو الـذي يتجـاوز فيه الحـدّ، ويقع به المادحُ في المحذور الـذي لا يرضـاه الله ولا رسـولُه ✕، وذلك أن يُوصف ✕ بما لا يجــوز أن يوصف به إلاَّ الله تبارك وتعالى، أو أن يُصرف له ✕ ما لا يسـتحقُّه إلاَّ البـاري جـلَّ وعلا، ومن

ذلك بعض الأبيات التي قالَها البوصيري في البُردة مثل قوله:

يا أكرمَ الخلقِ ما لي مَن ألوذ به

سواك عند حلول الحادِث العَمِمِ

فهذا المعنى الذي اشتمل عليه هذا البيت لا يجوز أن يُصرف لغير الله عزَّ وجلَّ، ولا يستحقُّه إلاَّ هو وحده لا شريك له، فهو الذي يُعاذ به ويُلاذ به ويُلتجأ إليه ويُعتصم بحبلِه ويُعوَّل عليه، وهو الذي قال عنه ﷺ مُبيِّنًا تفَضُّلَه وامتنانَه على عباده وأنَّه ما بِهم من نعمة فمنه تفضُّلاً وامتناناً: ((لن يَدخل أحدُكم بعمله الجنَّةَ، قالوا: ولا أنتَ يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلاَّ أن يتغمَّدني الله برحمة منه وفضل))، وهو الذي يُجيبُ المضطَرَ إذا دعاه ويكشف السوءَ، كما قال تعالى: {**أَمَّن يُجِيبُ المُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ ءَإِلَـهٌ مَعَ اللهِ**

قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ}، أي: لا أحد سواه يكون كذلك، لا مَلَكًا مُقرَّبًا، ولا نبيًّا مرسلاً، فضلاً عمَّن سواهما، وقال تعالى: {**وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**}، وقال تعالى: {**وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي البَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ**}، وقال: {**ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ**}.

والحاصل أنَّ المدحَ الذي اشتمل عليه هذا البيت مدحٌ بالباطل الذي حذَّر منه الرسول ×، ويكون حقًّا لو قال مناديًا ربَّه:

يا خالق الخلق ما لي مَن ألوذ به

سواكَ عند حلول الحادث العمم

ومثل قوله أيضًا يُخاطبُ النَّبِيَّ ×:

فإنَّ مِن جُودِك الدنيا وضَرَّتَها

ومِن علومك علم اللَّوحِ والقَلَمِ

وهذا لا يليق إلاَّ بِمَن بيدِه ملكوت كـلِّ شـيءٍ سبحانه وتعالى، فهو القائل عن نفسه: {**وَمَا بِكُمْ مِن نِعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ**}، والقائل عنه نبيُّه ✕: « واعلم أنَّ الأُمَّةَ لو اجتمعـــــــوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلاَّ بشيء قد كتبه الله لك »، الحديث، فهو وحده الـذي من جـوده الـدنيا والآخـرة، وهو وحـده الـذي من علمِه علم اللـوح والقلم، أما الرَّسول ✕ فهو لا يَملك إلاَّ ما أعطـاه الله، ولا يعلم من الغيب إلاَّ ما أطلعه عليــه، وقد أمره الله أن يقول: {**لاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الغَيْبَ**} الآية، وقال له: {**قُلْ إِنّي لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلاَ رَشَدًا**}، وثبت في الصــحيحين أنَّه ✕ لَمَّا نــزل عليه قوله تعالى: {**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ**} قال: « يا

معشر قريش ـ أو كلمة نحوها ـ اشتروا أنفسكم لا أُغني عنكم من الله شيئًا، يا بَنِي عبد مَناف لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا عباس ابن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا صفيَّة عمَّة رسول الله لا أغني عنكِ من الله شيئًا، ويا فاطمة بنت محمد ✕ سَلِينِي ما شئتِ من مالي، لا أغنِي عنكِ من الله شيئًا))، وروى البخاريُّ في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((قام فينا رسول الله ✕ فذَكر الغُلولَ فعظَّمه وعظَّم أمرَه قال: لا أُلفينَّ أحدَكم يوم القيامة على رقبَته فرسٌ له حمحمة يقول: يا رسول الله أَغِثنِي، فأقول: لا أملكُ لك شيئًا قد أبلغتُك))، الحديث.

* * *

11 ـ قال الكاتب: « تَمنعون دفنَ المسلم الذي يموت خارج المدينة المنـوَّرة ومكة المكرَّمة من الدَّفن فيهما، وهما مِن البقاع الطيِّبة المباركة الـتي يُحبُّها اللّٰه ورسـولُه، فتَحرمـون المسـلمين ثـوابَ الـدَّفن في تلك البقـاع الشـريفة المباركـة، فعن عبد اللّٰه بن عــدي الزهــري رضي اللّٰه عنه قـــال: رأيتُ رســـول اللّٰه ✕ على راحلتِه واقفًا بـــالحزوَرة، يقـــول: (واللّٰه إنَّك لخـــيرُ أرض اللّٰه، وأحبُّ أرض اللّٰه إلى اللّٰه، ولـولا أخـرجتُ منك ما خرجتُ)، وعن ابن عمر رضي اللّٰه عنه قال: قـال رســـول اللّٰه ✕: (من اســـتطاع أن يمـــوت في المدينة فليَمت بها، فإنَّي أشفع لِمَن يموت بها) ».

والجواب: أنَّ الأصلَ أن يُدفن كلُّ ميتٍ في بلد وفاته إلاَّ لضـرورة تـدعو إلى نقله إلى غـيره، وفي هـذا الزمـان سـهُل الوصـول إلى الحـرمين الشريفين بوسائل النقل المختلفـة، فلو مُكِّن كـلُّ

مَن أراد الـدفن في الحـرمَين لأوشك أن تتحـوَّل المدينتان المُقدَّستان إلى قبـور، والمُهمُّ للمسـلم أن يكون
في حياته على حالة حسنةٍ وأعمالٍ صـالحة، وأن يُختم له بخير.

والحديثان المـذكوران: الأول في فضل مكـة، والثاني في فضل المدينـة، وهو يـدلُّ على فضل الموت بالمدينـة، ومن المعلـوم أنَّ كـلَّ من مـات بـالحرمين يُـدفن فيهمـا، ولا دلالة في ذلك على النقل إلى الحرمين للدَّفن فيهما.

ثم لماذا يعيبُ الكاتب على مَن زعم نصـحَهم منْـعَ النقل إلى الحـرمين للـدَّفن فيهمـا، مع أنَّه مُعجَبٌ بالصوفية، وقد ذُكر عن بعضـهم حكايـاتٌ مفادُها أنَّ من الأمواتِ
من تنقلُه الملائكةُ من المكان الذي دُفن فيه إلى مكـــان آخـــر!! وقد ذكر الســـخاويُّ في كتابه

"المقاصد الحسنة فيما يدور من الأحاديث على الألسنة" حديث: ((إنَّ لله ملائكة تنقل الأموات!!))، وقال: ((لم أقف عليه))، ثم ذكر حكاياتٍ، منها أنَّ العزَّ يوسف الزرندي أبا السادة الزرنديين المدنيين ـ وهو مِمَّن لم يَمت بالمدينة ــ رؤي في النوم وهو يقول للرائي: سلِّم على أولادي، وقل لهم: إنِّي قد حُملتُ إليكم، ودُفنت بالبقيع عند قبر العباس، فإذا أرادوا زيارتي فليَقفوا هناك، ويُسلِّموا ويدعوا!!!

وذكر هذا الحديثَ العجلوني في "كشف الخفاء ومزيل الإلباس فيما يدور من الحديث على ألسنة الناس"، ونقل الحكايات التي ذكرها السخاوي، ثم قال: ((وقال الشعراني أيضًا في كتابه البدر المنير في غريب أحاديث البشير النذير: قد ثبت وقوعه لطائفة، منهم سيدي أبو الفضل الغريق من أولاد السادات بني الوفاء، غرق في

بحر النيل فوجـدوه عند جـدِّه بالقرافة مـدفونًا!! وأما نقل الحـــديث فكثـــير، يتكلَّم الرَّجل بمصر فينتقل إلى مكة في ليلة فيجـده النـاس هنـاك!! انتهى)).

وكـانت وفـاة الشـعراني صـاحب هـذا الكلام سنة (973هـ).

وأهل الســـنة والجماعة ـــ ومنهم مَن زعم الكاتبُ نصحَهم ـ يُؤمنون بأنَّ اللّٰهَ على كلِّ شـيء قدير، ويُصدِّقون بكرامـات أوليـاء اللّٰه حقًـا، وهم الصـــحابة ومَن تبعهم بإحســـانٍ، ولا يُصـــدِّقون بالحكايـات المنامية وغـير المنامَّية الـتي ليس لها خطامٌ أو زمام.

وكلُّ ميت دُفن في مكـان فإنَّه يُبعث منه يـوم القيامة، كما قال اللّٰه عزَّ وجلَّ: {**ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ تُبْعَثُونَ**}، والقبور تنشقُّ عن أصحابِها يوم القيامة، وأوَّلُ قبرٍ ينشقُّ عن صاحبِه قـبرُ نبيِّنا

محمد ﷺ كما قال ﷺ: ((أنا سيِّدُ ولد آدم يوم القيامة، وأوَّلُ مَن ينشقُّ عنه القبرُ، وأوَّلُ شافعٍ وأوَّلُ مُشَفّع))، رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ولم يثبت في السُّنَّة ما يدلُّ على خلاف ذلك، وأنَّ الملائكةَ تنقل الموتى من مكان إلى مكان، بل قد جاء في جامع الترمذي حديثُ أبي هريرة رضي الله عنه في سؤال منكر ونكير للمؤمن والمنافق، وأنَّ كلاًّ منهما يكون في مضجعه، وفيه أنَّه يُقال للمؤمن: ((نَمْ كنومَة العروس الذي لا يوقظُه إلاَّ أحبُّ أهله إليه، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك)).

وفيه أنَّه يُقال للأرض في حقِّ المنافق: ((الْتَئِمِي عليه، فتَلْتَئمُ عليه، فتختلف أضلاعُه، فلا يزال فيها مُعذَّبًا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك))، وهو حديثٌ ثابتٌ، رجاله رجال مسلم.

* * *

12 ـ عاب الكاتب على مَن زعم نصحَهم تعيينَ الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ رحمه الله ـ أستاذًا بالجامعة الإسلامية بالمدينة، وعضـوًا في مجلسِـها الأعلى، وزعم أنَّ الملـكَ فيصلاً ـ رحمه الله ـ طـرَدَه، وأنَّه أُعيد إلى نفس المنصب بعد ذلك، ووصف كتبَه بأنَّها كاسدة!!!

والجواب: أنَّ الشيخَ العلاَّمةَ المحدِّث محمد ناصر الدِّين الألباني ـ رحمه الله ـ معـروفٌ لـدى أهل الإنصاف بجهودِه العظيمة في خدمة السنَّة، وتسـهيل الوصـول إلى معرفة الأحـاديث، وبيـان مظانِّها وطرُقِها ومتابعاتها وشـــواهدها والحكم عليها.

وقد عُيِّن مدرِّسًا في الجامعة الإســـــلامية بالمدينة في السـنوات الأولى من إنشـائها، وعُيِّن

عُضواً في مجلسها الأعلى، ثم انتهى التعاقد معه كما ينتهي التعاقد مع المدرِّسين غير السعوديين، وكنتُ مدرِّساً في الجامعة الإســـــــــلامية منذ تأسيسها، وما سمعتُ أنَّ الملكَ فيصلاً ــ رحمه الله ــ طـرد الشـيخَ الألبـانيَّ كما زعم الكاتب!

والمجلسُ الأعلى للجامعة سـابقاً يتـألَّف من أعضـاء، فيهم عشـرة من خـارج المملكة يصـدر بتعيينهم أمرٌ مَلَكيٌّ لمـدَّة ثلاث سـنوات بنـاءً على ترشيح رئيس الجامعة.

وقد كنتُ منذ عهد الملك فيصل ــ رحمه الله ــ على وظيفة نائب رئيس الجامعة الإسلامية، وبعد انتقال الشيخ عبد العزيز بن باز ـ رحمه الله ــ من رئاسة الجامعة الإســـــــلامية إلى رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتـاء والـدعوة والإرشـاد في شـوال عـام 1395هـ، كنتُ المسـئول الأول في

الجامعة مـدَّة أربع سـنوات، فرشَّـحتُ عشـرة أعضـاء في المجلس الأعلى للجامعـة، فيهم الشـيخ محمد ناصر الـدين الألبـاني رحمه الله، وتَمَّت الموافقة على تعـيينهم، ويرجع اختيـار الشيخ الألبـاني ـ رحمه الله ـ إلى علمِه وفضله وجهـودِه في خدمة السـنَّة، وإلى كونه ناصـرًا للسُّنَّة محذِّرًا من البدع، رادًّ على المبتدعة.

وأمَّا وصف الكـاتب لكُتبِه بأنَّها كاسـدة، فنعم هي كاسـدةٌ عنـده وأمثالـه! أمَّا مَن له اشـتغالٌ بـالعلم واهتمـامٌ بالسُّـنَّة فيحـرص على اقتنائها والاستفادة منها.

* * *

13 ـ أشاد الكاتبُ في أوراقه بإقامة احتفـالات لِمولـدِ رسـول الله ﷺ، وأَنكَـرَ على مَن زعم نُصحَهم إنكارهم لذلك.

والجواب: أنَّ مَحَبَةَ الرسول ﷺ يجب أن

تكــون في قلبِ كــلِّ مســلم أعظمَ من محبَّتِه لوالديه وولده والناسِ أجمعين، كما قال ﷺ: « لا يُـؤمنُ أحـدُكم حـتى أكـون أحبَّ إليه من والـدِه وولدِه والناس أجمعين »، رواه البخاري ومسلم.

بل يجبُ أن تكــون أعظمَ من مَحبَّتِه لنفسِــه، كما ثبت ذلك في حــديث عمر رضي الله عنه في صحيح البخـاري، وإنَّما وجب أن تكـون مَحبَّتُه ﷺ أعظمَ مِن مَحبَّة النفسِ والوالِـــدِ والولَـــدِ؛ فلأنَّ النِّعمةَ التي ساقها اللهُ للمسلمين على يديه ﷺ ـ وهي نعمـةُ الهدايـةِ للصـراطِ المسـتقيم، نعمـةُ الخروج من الظلمات إلى النُّورِ ـ هي أَجَـلُّ النِّعم وأعظَمُها، لا يُساويها نعمةٌ ولا يُماثلُها نعمة.

والعلامـةُ الواضـحةُ الجليَّةُ لِمَحبَّتِه ﷺ اتِّبـاعُ ما كــان عليه رســولُ الله ﷺ وأصــحابُه الكــرام رضي الله عنهم، وذلك بتصديقِ الأخبـار، وامتثـالِ الأوامر، واجتنابِ النَّواهي، وأن تكون العبـادةُ لله

مُطابقةً لِما جاء في الكتاب والسُّنَّة.

ومِن المعلوم أنَّ النَّبِيَّ ✕ لَم يأتِ عنه شيءٌ يدلُّ على احتفاله بِمولِده، وكذا لَم يأتِ شيءٌ من ذلك عن أصحابِه الكرام، ولا عن التابعين وأتباع التابعين، ومَضتِ القرونُ الثلاثةُ الأولى ليس فيها شيءٌ من الاحتفالات بمولِده ✕، وأولُ مَن عُرف عنه إحداثُ الاحتفال بالموالدِ - ومنها مولده ✕ - العُبَيدِيُّون الذين حَكموا مصرَ، الذين يُقال لهم: الفاطميين، وكان بدءُ حكمهم مصر في القرن الرابع الهجري، فقد ذكر تقيُّ الدِّين أحمد بن علي المقريزي في كتابه: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (1/490) أنَّه كان للفاطميِّين في طول السَّنة أعياد ومواسم، فذكرها وهي كثيرةٌ جدًّا، ومنها مولدُ الرسول ✕، ومولد عليٍّ وفاطمة والحسن والحُسين رضي الله عنهم، ومولد الخليفة الحاضر.

وقد قـــال ابن كثـــير في البداية والنهاية في حوادث سنة (567هـ)، وهي السـنةُ الـتي انتهت فيها دولتُهم بموتِ آخرهم العاضد، قال: « ظهرتْ في دولتِهم البدعُ والمنكرات، وكثُرَ أهـلُ الفسـاد، وقلَّ عندهم الصالِحون من العلماء والعُبَّاد ... ».

وذكر ابن كثير قبل ذلك بقليل أنَّ صلاح الـدِّين قطع الأذانَ بِحيَّ على خير العمل من مصر كلِّها.

وفي القول بالاحتفال بمولد الرسول ✕ تقليدٌ للنصارى في احتفالهم بميلادِ عيسى عليه الصلاة والسـلام، فقد قـال السـخاويُّ في كتابه التـبر المسبوك في ذيل السـلوك (ص:14):ـ « وإذا كـان أهـلُ الصَّـليب اتَّخـذوا ليلة مولِد نـبيِّهم عيـداً أكبر، فأهل الإسلام أولَى بالتكريم وأجدَر!!! ».

وتعقَّبه مُلاَّ علي القـــاري في كتابه المـــورد الـروي في المولد النبـوي (ص:29، 30) بقولـه: « قلت: مِمَّا يَـردُ عليه أنَّا مـأمورون بمخالفة أهل

الكتاب)).

أورد النقل عنهما الشـيخ إسـماعيل بن محمد الأنصاري
ـ رحمه الله ـ في كـتـابـه القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرُّسل ـ وهو ضـمن رسـائل في حكم الاحتفـال بالمولد النَّبـوي ــ (2/630 ــ 631).

وكتاب الأنصـاريِّ هـذا من أحسن ما أُلِّف في هذه المسألةِ الـتي ابتُلي بها كثـيرٌ من النـاس منذ أن أُحدثت في القرن الرابع إلى الآن.

وإذًا فالمُحْـــدِثون لبدعة الموالـــدِ الرافضـــةُ العُبيـدِيُّون، والمقلَّدون فيها النصـارى الضَّـالُّون، وصـدق الرسـول الكـريمُ ✕ في قولـه: ((لَتَتبعُنَّ سَنَن مَن كان قبلكم، شِـبرًا شـبرًا، وذراعًا ذراعـًا، حـتى لو دخلـوا جُحـرَ ضـبٍّ تَبِعتمـوهم. قلنـا: يا رسـول الله! اليهـود والنصـارى؟ قـال: فمَن؟))،

رواه البخاريُّ ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

* * *

14 ـ قال الكاتبُ: « كان للمذاهب الأربعة في
الحَرم المكيِّ منابر، فهدمتُموها، ثمَّ كراسي للتدريس، فمنعتموها ... ».

واستنكرَ قولَ أحد المُدرِّسين في المسجد النَّبوي: إنَّ أبوي رسول الله ✕ في النار، واستشهد لإنكاره بقول الله عزَّ وجلَّ: {**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذابًا مُهِينًا**}، وبقوله: {**وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**}!!! وعوَّل في نجاةِ الأَبوين على رسائل للسيوطي في ذلك.

والجواب: أن يُقال: يُريد الكاتبُ بالمنابر المهدومة المقامات التي على أطراف المطاف سابقًا، والتي يُقال لها: مقام الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي، وكانت موجودةً قبل ولاية الملك عبد العزيز رحمه الله، وكان كلُّ أصحاب مذهبٍ يُصلُّون على حِدَةٍ عند هذه المقامات، فكان من أعظم حسناتِ الملك عبد العزيز ـــ رحمه الله ـ أنَّه منذ بدء ولايتِه قضَى على هذا التفرُّق في الصلاة حول الكعبة، وجمع النَّاسَ على إمامٍ واحد يُصلِّي بهم مجتمعين غير متفرِّقين، وقد بقيت البناياتُ التي يُقال لها المقامات إلى أن أُزيلت عند توسِعة المطاف، وقد شاهدتُها عندما حججتُ فرضي سنَة (1370هـ).

وقد سمعتُ من الدكتور محمد تقي الدِّين الهلالي

ـ رحمه الله، وهو مِمَّن أدرك ذلك الوقت ـ يذكر أنَّ واحداً مِمَّن آلَمَهم ذلك التفرُّق تحدَّث مع واحدٍ من المتعصِّبين مُنكِراً لذلك التفرُّق، فكان جواب ذلك المتعصِّب أن قال: الدليل على أنَّكم لستم على حقٍّ أنَّه ليس لكم مقامٌ حول الكعبة، فكان جواب المنكِر لذلك التفرُّق: يكفي المسلمين جميعاً مقامُ إبراهيم، ولا يحتاجون إلى مقامات أخرى!!

والكاتبُ ـ في أوراقِه ـ يُظهرُ التألُّمَ من فُرقة المسلمين في هذا الزمان، فيقول: « بلادُ أمريكا وأوربا وصلها داؤكم الدَّفين، فاشتعلَ الخلافُ في مساجدِ ومدارس المسلمين، هذا تابعٌ لابن باز وابن عُثيمين، يُكفِّرُ الصوفيةَ والذَّاكرين، وهذا أشعريٌّ أو ماتريديٌّ، وهذا ديوبَنديٌّ أو بريلوي ... إلخ، يُحاربُ بعضُهم بعضاً، ويُحرِّم الصلاة خلفهم، والزواج والتواصل فيما بينهم، ويقطع

أواصرَ الدِّين ...)).

فإذا كان هذا تألُّمُه لفُرقةِ المسلمين في أوربا وأمريكا، فما باله يتـألَّم ويحـزن لوحـدتِهم وزوال فُـرقتِهم عند الكعبـة، فينقمُ على مَن كـانوا سـبباً في هـذه الوحـدةِ، ويقـول: ((كـان للمـذاهب الأربعة في الحَرم المكيِّ منابر، فهدمتُموها))؟!!

وهـذا التنـاقضُ من الكـاتبِ في تألُّمِه على الفُرقة في أمريكا وأوربـــا، وتألُّمه وحُزنِه على وحدة المسلمين في صلاتِهم عند الكعبة ناشـيءٌ عن اتِّبـاع الهَـوَى والنَّيـل مِمَّن يَـدْعو إلى الحـقِّ والهدى، وما أحسن قول أبي عثمـان النيسـابوري رحمه الله: ((مَن أمَّر السُّـنَّةَ على نفسِـه قـولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومَن أمَّر الهوى على نفسِه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة)).

ثمَّ ما علاقةُ مَن أراد نُصحَهم بتفَـرُّق غـيرهم إلى أشعريٍّ أو ماتريديٍّ، وديوبَنـديٍّ أو بريلـويٍّ ...

إلخ، على حدِّ قوله.

وقوله: ((هذا تابعٌ لابن باز وابن عُثيمين، يُكفِّرُ الصوفيةَ والذَّاكرين))، هو من الإفكِ المُبين، كما سبقت الإشارةُ إلى ذلك.

وأمَّا التدريسُ في المسجد الحرام والمسجد النَّبَويِّ، فهو مستَمرٌّ وقائمٌ ــ والحمد لله ــ في التفسير والحديث والفقه وغيرها، وأذكرُ أنَّ مِمَّا دُرِّس في المسجد النَّبَويِّ موطأ الإمام مالك رحمه الله، درَّسه كلٌّ من الشيخ عطية محمد سالم، والشيخ عمر محمد فلاتة رحمهما الله، ومقتضى الولاية والأمانة والنُّصح للمسلمين ألاَّ يُسمح لكلِّ مَن أراد أن يفتحَ فاه في المسجدَين الشريفين.

وأمَّا إنكارُه القول بأنَّ أبوي رسول الله ✕ في النار فلا وجه له؛ لأنَّ الذي قال ذلك هو رسول الله ✕، ففي صحيح مسلم عن أنس بن

مالك رضي الله عنه: أنَّ رجلاً قال: يا رسول الله! أين أبي؟ قال: ((في النار))، فلمَّا قَفَّى دعاه، فقال: ((إنَّ أبي وأباك في النَّار)).

وقد بوَّب النَّوويُّ لهذا الحديث في شرحه لصحيح مسلم بقوله: ((باب: بيان أنَّ مَن مات على الكفر فهو في النار، ولا تناله شفاعة، ولا تنفعه قرابة المقرَّبين)).

وقال في شرحه: ((وفيه أنَّ مَن مات في الفترة على ما كانت عليه العربُ من عبادة الأوثان فهو في النَّار، وليس هذا مُؤاخذة قبل بلوغ الدَّعوة؛ فإنَّ هؤلاء كانت قد بلغتهم دعوةُ إبراهيم وغيره من الأنبياء صلواتُ الله تعالى وسلامه عليهم)).

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((استأذنتُ ربِّي أن أستغفرَ لأُمِّي فلَم يأذن لِي، واستأذنتُه أن أزورَ

قبرَها فأذِن لِي)).

وفيه أيضًا عن أبي هريـــــرة رضي الله عنه قــال: ((زار النَّبِيُّ ✕ قــبرَ أُمِّه، فبَكى وأبْكى مَن حولـه، فقـال: اسـتأذنتُ ربِّي في أن أَسـتغفرَ لَها فلَم يُـــؤذن لِي، واســـتأذنتُه في أن أزورَ قبرَها فأذِنَ لِي، فزوروا القبورَ؛ فإنَّها تُذكِّرُ الموتَ)).

قال النـوويُّ في شـرحه هـذا الحـديث: ((فيه جوازُ زيارةِ المشركين في الحياة، وقبـورهم بعد الوفـاة؛ لأنَّه إذا جـازت زيـارتُهم بعد الوفـاة ففِي الحياة أولَى، وقد قال الله تعالى: {**وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا**}، وفيه النَّهيُ عن الاستغفار للكفَّار، قــال القاضي عيــاض رحمه الله: ســببُ زيارتِه ✕ قبرها أنَّه قصَد قوة الموعظة والذِّكرى بمُشـــــاهدةِ قبرهـــــا؛ ويُؤيِّده قوله ✕ في آخر الحديث: فزوروا القبور؛ فإنَّها تُذكِّركم الموت)).

وقال أيضًا: ((قولـه: فبكى وأَبْكى من حولـه،

قال القاضي: بكاؤُه ✕ على ما فاتها من إدراك أيَّامِه والإيمان به)).

وقال البيهقيُّ في السنن الكبرى (7/190): ((وأبواه كانا مشركَين؛ بدليل ما أخبرنا ...))، ثمَّ ساق بإسناده حديثَ أنسٍ: ((إنَّ أبي وأباك في النَّار))، وبإسنادِه حديث أبي هريرة في استئذانِه ✕ في أن يستغفرَ لأمِّه فلَم يُؤذن له، وهما اللَّذان أخرجهما مسلم.

وعلى هذا فالثابتُ عن رسول الله ✕ كون أَبوَيه ماتا مشركَين، وأنَّهما في النَّار، ولَم يثبت شيءٌ يدلُّ على خلاف ذلك، وما ذكره مَن قال بإحيائهما له ✕ وإسلامِهما ليس بصحيح؛ لعدم ثبوته من حيث الإسناد؛ لأنَّ فيه مجاهيل، كما ذكر ذلك ابنُ كثير وغيرُه.

وفي مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (4/324 ـ 327):

« سُئل الشيخ رحمه الله تعالى:

هل صحَّ عن النَّبِيِّ ✕ أنَّ الله ـ تبارك وتعالى ـ أحيا له أَبَويه حتى أَسلَما على يديْـه، ثمَّ ماتَا بعد ذلك؟

فأجـــاب: لَم يصـــحَّ ذلك عن أحـــدٍ من أهل الحديث، بل أهـلُ المعرفة مُتَّفقـون على أنَّ ذلك كذبٌ مُختَلَقٌ، وإن كان قد روى في ذلك أبو بكر ـ يعـني الخطيب ـــ في كتابه الســابق واللاحــق، وذكـره أبو القاسم السُّـهيلي في شـرح السـيرة بإسنادٍ فيه مجاهيل، وذكره أبو عبد الله القرطبيُّ في التذكرة، وأمثال هذه المواضع، فلا نــزاع بين أهل المعرفة أنَّه من أظهر الموضوعات كذبًا كما نصَّ عليه أهـــــلُ العلم، وليس ذلك في الكتب المعتمـدَة في الحـديث، لا في الصـحيح، ولا في الســـنن، ولا في المســـانيد ونحو ذلك من كتب الحديث المعروفـة، ولا ذكـره أهل كتب المغـازي

والتفسير، وإن كانوا قد يَروُون الضعيفَ مع الصحيح؛ لأنَّ ظهورَ كذب ذلك لا يخفى على مُتديِّن، فإنَّ مثلَ هذا لو وقعَ لكان مِمَّا تتوافرُ الهِمَمُ والدَّواعي على نقلِه، فإنَّه من أعظمِ الأمور خرقًا للعادة من وجهين:

من جهة إحياءِ الموتى، ومن جهةِ الإيمانِ بعد الموتِ، فكان نقلُ مثل هذا أولَى من نقلِ غيره، فلَمَّا لَم يروه أحدٌ من الثقاتِ عُلِم أنَّه كذبٌ.

والخطيبُ البغداديُّ هو في كتاب "السابق واللاحق" مقصوده أن يذكر مَن تقدَّم ومَن تأخَّر من المُحدِّثين عن شخصٍ واحد، سواء كان الذي يروونه صدقًا أو كذبًا، وابنُ شاهين يروي الغثَّ والسَّمينَ، والسُّهيليُّ إنَّما ذكر ذلك بإسنادٍ فيه مجاهيل.

ثمَّ هذا خلاف الكتاب والسُّنَّة الصحيحة والإجماع، قال الله تعالى: {**إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى**

اللّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ المَوتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ}.

فـبيَّن الله تعـالى أنَّه لا توبة لِمَن مـات كـافرًا، وقال تعالى: {**فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الكَافِرُونَ**}، فأخبر أنَّ سـنَّتَه في عبـادِه أنَّه لا ينفع الإيمـانُ بعد رؤية البـأس، فكيف بعد المـوت؟ ونحو ذلك من النصوص.

وفي صحيح مسـلم: أنَّ رجلاً قـال للنـبيِّ ﷺ: أين أبي؟ قـال: « إنَّ أبـاكَ في النـارِ »، فلمَّا أدبَر دعاه، فقال: « إنَّ أبي وأباك في النَّار ».

وفي صحيح مسلم أيضًا أنَّه قال: ((استأذنتُ ربِّي أن أزورَ قبرَ أمِّي فأذِن لِي، واستأذنته في أن أستغفرَ لها فلَم يأذن لِي، فزوروا القبورَ؛ فإنَّها تُذكِّرُ الآخرة)).

وفي الحديث الذي في المسند وغيره قال: ((إنَّ أمِّي مع أُمِّك في النَّار)).

فإن قيل: هذا في عام الفتح، والإحياءُ كان بعد ذلك في حَجَّة الوداع، ولهذا ذكر ذلك مَن ذكره، وبهذا اعتذر صاحبُ التذكرة، وهذا باطلٌ لوجوه:

- الأول: إنَّ الخبرَ عمَّا كان ويكون لا يدخله نسخٌ، كقوله في أبي لَهب: {**سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ**}، وكقوله في الوليد: {**سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا**}.

وكذلك في: ((إنَّ أبي وأباك في النار))، و((إنَّ

امِّي وأمَّك في النَّار))، وهـذا ليس خـبرًا عن نـارٍ يخـرج منها صـاحبُها كأهل الكبـائر؛ لأنَّه لو كـان كذلك لجاز الاستغفارُ لهما، ولو كان قد سـبق في علمِ اللّٰه إيمانُهما لَم يَنهَهُ عن ذلك، فـإنَّ الأعمـالَ بالخواتيم، ومَن ماتَ مؤمنًا فإنَّ اللّٰه يغفرُ لـه، فلا يكون الاستغفارُ له مُمتَنِعًا.

ـ الثاني: أنَّ النَّبِيَّ ✕ زارَ قـبرَ أُمِّه؛ لأنَّها كـانت بطريقه بالحجون عند مكة عـام الفتح، وأمَّا أبـوه فلم يكن هناك، ولم يَزُره؛ إذ كان مدفونًا بالشـام في غير طريقه، فكيف يُقال: أُحْيِيَ له؟!

ـ الثـالث: إنَّهما لو كانا مؤمـنين إيمانًا ينفع كانا أحـقَّ بالشُّـهرةِ والـذِّكر من عمَّيـه: حمـزة، والعبـاس، وهـذا أبعد مِمَّا يقوله الجُهَّال من الرافضة ونحـوهم مِن أنَّ أبا طـالب آمن، ويحتجُّون بِما في السيرة من الحـديث الضـعيف، وفيه أنَّه تكلَّم بكلامٍ خفيٍّ وقت الموت.

ولو أنَّ العبَّاس ذكر أنَّه آمن لَمَا كان قال للنبيِّ ﷺ: عمُّك الشيخ الضَّال كان ينفعُك، فهل نفعتَه بشيءٍ؟ فقال: « وجدتُه في غمرة من نارٍ، فشفعتُ فيه حتى صار في ضحضاحٍ من نار، في رجليه نعلان من نارٍ يَغلِي منهما دماغُه، ولولا أنا لكان في الدَّرك الأسفل من النار ».

هذا باطلٌ مُخالفٌ لِما في الصحيح وغيره، فإنَّه كان آخر شيءٍ قاله: هو على ملَّة عبد المطلب، وأنَّ العبَّاس لَم يشهد موتَه، مع أنَّ ذلك لو صحَّ لكان أبو طالبٍ أحقَّ بالشُّهرةِ من حمزة والعبَّاس، فلَمَّا كان من العلم المتواتر المستفيض بين الأُمَّة خلفًا عن سلَفٍ أنَّه لَم يُذكَر أبو طالب ولا أبواه في جملة من يُذكرُ من أهله المؤمنين، كحمزة، والعبَّاس، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين رضي الله عنهم، كان هذا من أَبيَنِ الأدلَّةِ على أنَّ ذلك كذبٌ.

ـ الرابع: أنَّ الله تعالى قال: {**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ**} إلى قوله: {**لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ مِن شَيْءٍ**}، الآية، وقال تعالى: {**وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ للهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ**}.

فأمرَ بالتَّأسي بـإبراهيم والـذين معـه، إلاَّ في وعد إبراهيم لأبيه بالاستغفار، وأخبرَ أنَّه لَمَّا تـبيَّن له أنَّه عدوٌ لله تبرَّأ منه، والله أعلم)). اهـ.

وأمَّا تعويلُ الكاتب على رسائل السيوطي في نجـاةِ الأَبَـوَين، فجوابُه أنَّ السـيوطيَّ لَم يـأت بشيء ثابتٍ في ذلك يُعوَّلُ عليه، وقد ألَّف الشيخ علي مُلاَّ القـاري الحنفي رسـالةً في الـردِّ عليـه، وبيان أدلة معتقد أبي حنيفة في ذلك.

وقــال فيها (ص:85 ــ 87):ــ ((والعجبُ من الشيخ جلالِ الدِّين السيوطي ــ مع إحاطتِه بهـذه الآثارِ التي كادت أن تكون متـواترةً في الأخبـار ــ أنَّه عَدَل عن مُتابعةِ هـذه الحجَّة، وموافقة سـائرِ الأئمَّة، وتَبِع جماعــةً من العلمــاء المتــأخِّرين، وأورد أدلَّةً واهيـةً في نظر الفضـلاء المعتَبَـرين، منها أنَّ اللّٰه سـبحانه أحيا له أبويه حـتى آمنا بـه؛ مُســـتدلاًّ بِما أخرجه ابنُ شـــاهين في الناسخ والمنســوخ، والخطيب البغــدادي في الســابق واللاحق، والدارقطني وابن عسـاكر، كلاهما في غرائب مالك بسـندٍ ضـعيف عن عائشة رضي اللّٰه عنها قالت: (حجَّ بنا رسـول اللّٰه صـلَّى اللّٰه تعـالى عليه وسـلَّم حجَّةَ الــوداع، فَمَــرَّ بي على عَقبة الحجـون، وهو بـاكٍ حـزينٌ مغتَمٌّ، فـنزل، فمكث عنِّي طويلاً، ثمَّ عاد إليَّ وهو فرحٌ، فتبسَّم، فقلتُ لــه؟ فقــال: ذهبتُ لقــبر أُمِّي، فســألتُ اللّٰه أن

يُحيِيَها، فآمنت بِي، وردَّها اللّٰه عزَّ وجلَّ).

وهذا الحديثُ ضعيفٌ باتِّفاق المُحدِّثين، كما اعترف به السيوطي، وقال ابن كثير: إنَّه منكرٌ جدًّا، ورواتُه مجهولون)). اهـ.

ثمَّ كيف يزعم الكاتبُ أنَّ القولَ بكون أَبَوي الرسول ✕ في النار فيه إيذاءٌ للرَّسول ✕، وهو مَبنِيٌّ على سُنَّةٍ ثابتةٍ عن رسول اللّٰه ✕ في صحيح مسلم وغيره؟!! بخلاف القول بإحياءِ الأَبوين وإسلامهما ـ وهو الذي عوَّل عليه الكاتب ـ فإنَّه لَم يثبت في السُّنَّةِ عن رسول اللّٰه ✕، وهو قولٌ على اللّٰه ورسوله بغير علم، وقد قال اللّٰه عزَّ وجلَّ: {**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالبَغْيَ بِغَيْرِ الحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللّٰهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللّٰهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**}.

* * *

15 ـ قال الكاتبُ: ((كفَّرتُم ابنَ عَرَبي، ثمَّ أَلحقتُم به حُجَّةَ الإسلام الغـزالي، ثمَّ التَفَتُّم لأبي الحسن الأشعري)).

والجواب: أن يُقال: أمَّا أبو الحسن الأشعريّ، فـإنَّ آخـرَ أمـره أنَّه في الاعتقـاد على طريقــةِ أهل الحــديث، كما جــاء ذلك عنه في كتابَيه: المقالات، والإبانة.

والأشاعرةُ المنتَسِبون إليه ليسـوا على عقيدتِه الـتي هو عليها في آخر أمـره، وعلى هـذا فـأيُّ تكفــيرٍ أو تبــديعٍ حصل له مِمَّن زعم الكــاتبُ نُصحَهم؟!

وأمَّا الغــزالي فهو في الاعتقــادِ على طريقة المتكلِّمين، ولكن نقل بعضُ العلماء ما يدلُّ على رجوعِه، قال ابنُ أبي العز الحنفي شارح العقيدة

الطحاوية (ص:243 ـ 244) ــ وهو في مَعـرض ذكره جماعةً من المتكلِّمين حصلت لهم الحيرة ــ قال: « وكذلك الغزالي ــ رحمه الله ــ انتهى آخـرُ أمره إلى الوقف والحـيرة في المسـائل الكلاميَّة، ثمَّ أعـرَضَ عن تلك الطُّرُق، وأقبَل على أحـاديث الرَّسول ﷺ، فمات و(البخاري) على صدره ».

وكتابه "إلجام العوام عن علم الكلام" اشتمل على التحـذير من الاشـتغال بعلم الكلام، والحثِّ على الاشـتغال بالكتـاب والسُّـنَّة وما كـان عليه سلف الأُمَّة.

وعلى هـــذا فمن أين للكـــاتبِ أنَّ مَن زعم نُصحَهم كفَّروه؟!

وأمَّا ابن عَـربي الطـائي صـاحب الفصـوص، القائل بوحدة الوجـود، فـإنَّ مَن يقف على كلامِه في فصوصه لا يتوقَّف في تكفـــــيره، وقد ألَّف الشـيخ برهـان الـدِّين البقـاعي المتـوفى سـنة (

885هـ) كتاباً سَمَّاه: "تنبيه الغبي على تكفير ابن عربي"، يقع في (241) صفحة، قال في مقدِّمتِه:

« وبعد، فإنِّي لَمَّا رأيتُ الناسَ مضطربين في ابن عربي ــ المنسوب إلى التصوُّف، الموسوم عند أهل الحق بالوحدة، ولم أرَ مَن شفى القلبَ في ترجمته، وكان كفرُه في كتابه الفصوص أظهرَ منه في غيره ــ أحببتُ أن أذكرَ منه ما كان ظاهراً؛ حتى يُعلم حالُه، فيُهجر مقالُه، ويُعتقَد انحلالُه، وكفرُه وضلالُه، وأنَّه إلى الهاوية مآبُه ومآلُه، وامتثالاً لِما رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أنَّ النَّبِيَّ ✕ قال: (مَن رأى منكم منكراً فليغيِّره بيده، فإن لَم يستطع فبلسانه، فإن لَم يستطع فبقلبه، وذلك أضعفُ الإيمان)، وفي رواية عن عبد الله بن مسعود: (وليس وراء ذلك من الإيمان مثقالُ حبَّةٍ من خَردَل)ـ

وما أَحضَر إليَّ النسخة الـتي نقلتُ ما تـراه إلاَّ شخصٌ من كبار مُعتقديه وأتباعه ومُحبِّيه)).

إلى أن قـال: ((وسَـمَّيتُ هـذه الأوراق "تنبيه الغبي على تكفير ابن عربي"، وإن شـئتَ فسـمِّها "النصوص من كفر الفصوص"؛ لأنِّي لَم أستشـهد على كفره وقبيح أمره إلاَّ بما لا ينفع معه التأويل من كلامِـــه، فإنَّه ليس كـــلٌّ كلامٍ يُقبل تأويلُه وصرفُه عن ظاهره)). اهـ.

وأَكتفي بأن أنقلَ للأذكياء والأغبيـاء جُملاً من كلام ابن عـــربي في فصوصه الـــتي أوردها البقاعيُّ في كتابه، مشيراً في ذلك إلى الصفحات المنقول منها، ثمَّ أُشيرُ إلى جملة الذين نقل عنهم القول بتكفيره أو ذمِّه ذمًّا شنيعاً، مع ذكر أسـماء جماعة من الـذين صـرَّحوا بكفـره أو ذمِّه ذمًّا شنيعاً، ونقل شيءٍ من كلامِهم في ذلك.

فمِن أقوال ابن عربي:

ـ قوله (ص:49):ـ (({**يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِدْرَارًا**}: وهي المعارف العقلية في المعاني والنظر الاعتباري!!

{**وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ**}: أي بِما يَميل بكم إليه، فإذا مال بكم إليه رأيتُم صورتَكم فيه، فمَن تخيَّل منكم أنَّه رآه فما عــرف! ومَن عــرف منكم أنَّه رأى نفسَه فهو العارف!! فلهذا انقسم الناسُ إلى غير عالِم وعالِم!!!)).

ـ وقوله (ص:51):ـ (({**وَقَضَى رَبُّكَ أَن لاَ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ**}: أي حكم، فالعالم يعلم مَن عَبد، وفي أيِّ صورةٍ ظهر حتى عُبد، وأنَّ التفريقَ والكــثرة كالأعضــاء في الصــورة المحسوســة، وكــالقِوى المعنويَّة في الصــورة الروحانيــة، فما عُبد غير الله في كلِّ معبود!!!)).

ـ وقوله (ص:60):ـ (({**إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ**}: أي:

تَدَعهم وتتركهم، {**يُضلُّوا عِبَادَكَ**}: إلى الخير!! فيُخرجوهم من العبودية إلى ما فيهم من أسـرار الربوبية، فينظرون أنفسهم أربابًا بعد ما كانوا عند أنفسِهم عبيدًا، فهم العبيد الأرباب!!!)).

ـ وقوله (ص:60 ـ 61): (({**رَبِّ اغْفِرْ لِي**}: استرني، واستر من أجلي، فيُجهل مقامي وقدري، كما جُهل
قدرُك في قولك، {**وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ**}.

{**وَلِوَالِدَيَّ**}: من كنتُ نتيجة عنهما، وهما العقل والطبيعة!!

{**وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ**} أي: قلبي!!

{**مُؤْمِنًا**}: أي مصدِّقًا لما يكون فيه من الإخبارات الإلَهية، وهو ما حدثت به أنفسها!!

{**وَلِلْمُؤْمِنِينَ**}: من العقول!!

{**وَلِلْمُؤْمِنَاتِ**}: من النفوس!!)).

- وقوله (ص:61):- « ومن أسمائه الحسنى: العلي، على مَن وما ثمَّ إلاَّ هـــو؟!!! فهو العليُّ لذاته.

أو عن ماذا، وما هو إلاَّ هو؟!!! فعُلُوُّه لنفسه، وهو من حيث الوجـــــود عينُ الموجـــــودات، فالمسمَّى مُحدثات هي العليَّة لـذاتها، وليست إلاَّ هو!! ».

- وقوله (ص:62):- « فهو الأول والآخر والظـاهر والبـاطن، فهو عين ما ظهـر، وهو عين ما بطن في حال ظهوره، وما ثمَّ من يراه غـيره، وما ثَمَّ مَن يُبطنُ عنه، فهو ظاهر لنفســه، بـاطنٌ عنه، وهو المسمَّى أبا سـعيد الخـراز، وغـير ذلك من أسماء المُحدثات!!! ».

- وقوله (ص:68):- {**وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا**}: فما نكح ســوى نفســه، فمنه الصــاحبة والولــد،

والأمر واحدٌ في العدد!!!)).

ـ وقوله (ص:84): (({**مَا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**}: فكلُّ ماشٍ فعلى صراط الربِّ المستقيم، فهم غير مغضوب عليهم من هذا الوجه، ولا ضالُّون، فكما كان الضلالُ عارضاً، فكذلك الغضبُ الإلَهي عارض، والمآل إلى الرَّحمة التي وسعت كلَّ شيء!!!)).

ـ وقوله (ص:89): ((ألا ترى عاداً قوم هود كيف قالوا: {**هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا**}؟ فظنُّوا خيراً بالله تعالى ـ وهو عند ظنِّ عبده به ـ فأضرب لهم الحقُّ عن هذا القول، فأخبرهم بما هو أتَمُّ وأعلى في القُرب؛ فإنَّه إذا أمطرهم فذلك حظُّ الأرض وسقي الحبِّ، فما يَصِلون إلى نتيجة ذلك المطر إلاَّ عن بُعد، فقال لهم: {**بَلْ هُوَ مَا**

اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ}، فجعل الرِّيحَ إشارةً إلى ما فيها من الراحـة؛ فـإنَّ بهـذه الـريح أراحهم من هـذه الهياكل المظلمة والمسالك الوعرة والسدف المدلهمة!!

وفي هذه الـريح عـذابٌ، أي: أمـرٌ يسـتعذبونه إذا ذاقوه، إلاَّ أنَّه يوجِعُهم لفُرقة المألوف!!)).

- وقوله (ص:93):ـ ((فقُلْ في الكون ما شئتَ، إن شئتَ قلتَ: هو الخلق، وإن شـئتَ قلتَ: هو الحق، وإن قلتَ: هو الحقُّ الخلق، وإن شئتَ قلتَ: لا حق من كلِّ وجه، ولا خلق من كلِّ وجـه، وإن قلتَ بـالحيرة في ذلـك؛ فقد بـانت المطـالب بتعيينك المراتب، ولولا التحديـدُ ما أخـبرت الرُّسل بتحوُّل الحقِّ في الصُّوَر، ولا وصفته بخلع الصُّـوَر عن نفسه:

فلا تنظر العينُ إلاَّ إليه ولا يقع الحكم إلاَّ عليه!!)).

ـ وقوله (ص:102):ـ « وأمَّا أهل النار فمآلُهم إلى النَّعيم، ولكن في النَّار؛ إذ لا بدَّ لصورة النَّار ـ بعد انتهاء مدَّة العقاب ــ أن تكـون بـردًا وسـلامًا على مَن فيها!! وهـذا نعيمُهم، فنعيمُ أهل النَّار ــ بعد استيفاء الحقوق ــ نعيم خليل اللّٰه حين أُلقيَ في النَّار!!! فإنَّه ــ عليه السـلام ــ تعـذَّب برؤيتِها وبما تعوَّد في علمِه وتقـرَّر من انَّها صـورةٌ تـؤلِم مَن جاوَرَها من الحيـوان، وما علم مـرادَ اللّٰه فيها ومنها في حقِّه، فبعد وجود هذه الآلام وَجَدَ بـردًا وسـلامًا، مع شـهود الصـورة اللونية في حقِّه، وهي نارٌ في عيون الناس، فالشيءُ الواحد يتنوَّع في عيـون النـاظرين، هكـذا هو التجلِّي الإلَهي!!! ».

ـ وقوله (ص:112):ـ « وكـان موسى ـ عـليه السـلام ــ أعلمَ بـالأمر من هـارون؛ لأنَّه علم ما عَبَـده أصـحابُ العِجـل؛ لعلمه بـأنَّ اللّٰه قضى ألاَّ

نعبدَ إلاَّ إيَّاه، وما حكم الله بشيء إلاَّ وقع، فكان عتْبُ موسى أخـــاه هـــارون لما وقع الأمر في إنكـاره وعـدم اتِّسـاعه؛ فـإنَّ العـارفَ مَن يـرى الحقَّ في كلِّ شيء، بل يـراه عينَ كـلِّ شـيء!!!

)).

قال الشيخ زين الدِّين العراقي: ((هـذا الكلامُ كفرٌ من قائلِه من وجوه:

أحدها: أنَّه نسب موسى ـ عليه السـلام ــ إلى رضاه بعبادة قومِه للعجل.

الثاني: استدلالُه بقوله تعالى: {**وَقَضَى رَبُّكَ أَن لاَ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ**}، على أنَّه قدَّرَ أن لا يُعبد إلاَّ هو، وأنَّ عابدَ الصنَمِ عابدٌ له.

الثالث: أنَّ موسى ـ عليه السـلام ــ عتبَ على أخيه هارون ـ عليهما السـلام ــ إنكـاره لِما وقـع، وهذا كذبٌ على موسى عليه السلام، وتكذيب لله

فيما أخــبر به عن موسى من غضــبِه لعبــادتِهم العجل.

الرابع: أنَّ العارفَ يرى الحقَّ في كـلِّ شـيءٍ، بل يراه عين كلِّ شيء، فجعل العجــلَ عين الإلَه المعبــود!!! فليعجب الســامعُ لمثل هــذه الجُــرأة الــتي لا تصــدر مِمَّن في قلبِه مثقــال ذرَّة من إيمان!)).

ـ وقوله (ص:118) عند قوله تعالى: {**قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ**}: ((وكان قرَّةَ عين لفرعون بالإيمــان الــذي أعطــاه الله عند الغــرق، فقبضه طــاهرًا مطهَّرًا، ليس فيه شــيءٌ من الخبَث؛ لأنَّه قبضه عند إيمانِه قبل أن يكتسبَ شيئًا من الآثــام، والإســلامُ يَجُبُّ ما قبلــه، وجعله آيــةً على عنايتِه سبحانه وتعالى بِمَن شاء، حتى لا ييأس أحدٌ من رحمة الله، فإنَّه لا ييــأس من رَوْحِ الله إلاَّ القــوم

الكافرون!!!)).

وبعد وقـوفِ القـارئ على هـذه النقـول من كتاب الفصوص لابن عربي بواسطة كتاب الشـيخ برهـان الـدِّين البقـاعي، وهي في غاية السـوءِ، وقائلُها في غاية الجُـــرأة على الله، أُضـــيف إلى ذلك نقلاً عنه في مطلع كتابه الفصـــــوص، فيه الجرأةُ على رسـول الله ✕، في رؤيا منامِيَّة زعم فيها أنَّ رسـول الله ✕ أعطـاه كتـاب الفصـوص، وأمره بأن يخرجَ به إلى الناس لينتفعـوا بـه، وهو قوله (ص:38):

((أمَّا بعـــد، فـــإنِّي رأيتُ رســـولَ الله ✕ في مُبَشـــرة أُريتُها في العشر الآخر من محـــرَّم ســـنة سبعٍ وعشرين وستمائة بمحروسة دمشق، وبيده كتابٌ، فقال لي: هذا كتاب فصوص الحِكَم! خذْه، واخرُج به إلى الناس ينتفعون بـه، فقلتُ: السَّـمعُ والطاعةُ لله ولرسوله وأولي الأمر منَّا، كما أُمرنـا،

فحققتُ الأُمنية، وأخلصتُ النيَّة، وجرَّدتُ القصدَ والهمَّة إلى إبراز هذا الكتاب كما حدَّه لي رسولُ اللّٰه ✕ من غير زيادةٍ ولا نقصان)).

وإذا كان ابنُ عربي صادقًا في حصول رؤياه، فلا شكَّ أنَّه لَم ير النَّبِيَّ ✕، وإنَّما رأى شيطانًا، وقد قال الشيخ بدر الدِّين بنُ جماعة: ((وحاشا رسول اللّٰه ✕ أن يأذن في المنامِ فيما يُخالفُ أو يُضادُّ قواعدَ الإسلامِ، بل ذلك من وساوس الشيطان ومحنتِه، وتلاعبه برأيه وفتنتِه، وأمَّا إنكارُه ـ يعني ابن عربي ـ ما ورد في الكتاب والسُّنَّة من الوعيد، فهو كافرٌ به عند علماء التوحيد، وكذلك قوله في نوح وهود ـ عليهما السلام ـ قول لغو باطل مردود)). تنبيه الغبي (ص:140).

وبعد هذا أقول للبوطي والرِّفاعي: هذا التَّائه الذي يقول (بإيمان فرعون، وأنَّ عذابَ النَّار نعيمٌ

لأهلها، وأنَّ عُبَّادَ العِجل إنَّما عبدوا اللّٰه؛ لأنَّه حالٌّ في المخلوقات، وأنَّ الـريحَ الـتي عُـذِّبت بها عـادٌ راحةٌ لهم وأمرٌ يستعذبونه!!!)ـ

أقول: هذا التَّائهُ القائلـ بهذا الكفـرـ ألاَ يكـون كافرًا عدوًّا لله؟!

ومع هـذه الأقـوال القبيحة الشـنيعة هو عند جماعات من الصوفيَّةـ وليٌّ من أولياء اللّٰه!!

ثمَّ ألاَ يسـتحقُّ ابنُ عـربي الـذمَّ من البـوطيِّ والرفـاعيِّـ أم أنَّ الأحـقَّ بـذمِّهما مَن زعمَا نُصحَهم، وعابَا عليهم تكفيره؟! {**مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**}؟! {**أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ**}؟! ومعلومٌ أنَّ الباءَ في مثل هذا تدخل على المتروك.

وأمَّا العلماء الذين نقل عنهم البقـاعيُّ تكفـيرَ ابن عـربي أو ذمَّه ذمًّا شـنيعًا، فعـددهم يُقـاربُ

الخمسين.

ومِمَّن نقل عنهم القولَ بكفره:

الحافظ ابن حجر العسقلاني وشيخه سراج الدِّين عمر البلقيني (ص:159)، وزين الدِّين العراقي (ص:52)، وابنه أبو زرعة وليُّ الدِّين العراقي (ص:124)، وشمس الدِّين الذهبي (ص:161)، وعبد الرحمن بن خلدون (ص: 163)، وبدر الدِّين بن جماعة (ص:140)، وشمس الدِّين محمد بن يوسف الجزري (ص: 141)، وحفيدُه إمام القرَّاء محمد بن محمد الجزري صاحب الجزرية (ص:176)، وعلي بن يعقوب البكري (ص:144)، ومحمد بن عقيل البالسي (ص:146)، وابن هشام، صاحب مغني اللبيب، وأوضح المسالك في ألفية ابن مالك (ص: 150)، وشمس الدِّين محمد العيزري (ص:152)، وعلاء الدِّين البخاري الحنفي (ص:164)، وعلي

بن أيـوب (ص:182)، وشـرف الـدِّين عيسى بن مسعود الزواوي المـالكي (ص:143)، وشـمس الـدِّين الموصـلي (ص:154)، وزين الـدِّين عمر الكتاني (ص:142)، وبرهـان الـدِّين السـفاقسي (ص:159)، وسعد الدِّين الحارثي الحنبلي (ص: 153)، ورضي الـدِّين بن الخيـاط (ص:163)، وشـهاب الـدِّين أحمد ابن علي الناشـري (ص: 163).

ومِن الذين ذمُّوه ذمًّا شنيعًا يدلُّ على تكفيره: محمد بن علي النقاش، قـال في وحـدة الوجـود (ص:147): ((وهو مذهبُ المُلحدين، كابن عربي وابن سبعين وابن الفارض، مِمَّن يجعـلُ الوجـودَ الخالق هو الوجود المخلوق!!)).

ومنهم: أبو حيَّان الأندلسي صـاحبُ التفسـير، فقد ذكر في تفسـير سـورة المائـدة عند قوله تعالى: {**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ**

المَسِيحُ بنُ مَرْيَمَ} (ص:142 ـ 143): « ومن بعض اعتقاد النصارى استنبط مَن أقرَّ بالإسلام ظاهرًا، وانتمى إلى الصوفية حلولَ الله في الصُّوَر الجميلة، ومَن ذهب من ملاحدَتِهم إلى القول بالاتِّحاد والوحدة كالحلاَّج، والشعوذي، وابن أحلى، وابن عربي المقيم بدمشق، وابن الفارض، وأتباع هؤلاء كابن سبعين » ـ وعدَّ جماعةً ثمَّ قال ـ: « وإنَّما سردتُ هؤلاءِ نصحًا لدين الله ـ يعلمُ اللهُ ذلك ـ وشفقَةً على ضعفاء المسلمين.

وليُحذَروا؛ فإنَّهم شرٌّ من الفلاسفة الذي يُكذِّبون اللهَ ورسلَه، ويقولون بِقِدم العالَم، ويُنكرون البعثَ، وقد أُولِع جهلةٌ مِمَّن ينتمي إلى التصوُّف بتعظيم هؤلاء، وادِّعائهم أنَّهم صفوةُ الله!! ».

ومِنهم: تقيُّ الدِّين السُّبكي (ص:143)، فقد

قال:

« ومَن كان من هؤلاء الصوفية المتأخِّرين كابن عربي وغيره، فهم ضُلاَّلٌ جُهَّالٌ، خارجون عن طريقة الإسلام، فضلاً عن العلماء ».

وقد مرَّ نقلُ كلام بدر الدِّين بن جماعة وزين الدِّين العراقي في تكفير ابن عربي، ومِن أقوال الذين صرَّحوا بتكفيره قول إمام القرَّاء شمس الدِّين بن الجزري (ص:175 ــ 176):ـ « ومِمَّا يجب على ملوك الإسلام، ومَن قَدَرَ على الأمر بالمعروفِ والنَّهي عن المنكر أن يُعدِموا الكتبَ المخالفةَ لظاهِر الشرع المُطهَّر من كتب المذكور وغيره، ولا يُلتَفَتُ إلى قول مَن قال: هذا الكلام المخالف للظاهر ينبغي أن يُؤوَّل؛ فإنَّه غلطٌ من قائلِه، إنَّما يُؤوَّل كلام المعصوم، ولو فُتِح بابُ تأويلِ كلِّ كلام ظاهرُه الكفر، لَم يكن في الأرض كافر ».

ومعلــومٌ أنَّ تأويــلَ كلام المعصــومِ ✕ إنَّما يكون بردِّ المتشابه إلى المُحكَم.

وبعد نقل هــذه الجُمَل من كلام ابن عــربي المقتضـية لكفـره، وذِكر هـؤلاء العلمـاء الـذين كفَّروه، لا يبقى وجـهٌ لأَن يعيبَ الكـاتبُ على مَن زعم نُصـحَهم تكفـيرَهم لابن عـربي، حيث قـال: « كفَّرتُم ابنَ عــربي »، والله المســتعان، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

* * *

16 ـ قال الكاتب تحت عنوان: « تزوير التراث »:

« دأبتُم على أن تحــــــــذِفوا ما لا يُعجِبُكم ويُرضيكم من كتب التراث الإسلامي ... ».

وقــال: « ومِمَّا حُــذف أو غُيِّر وزُوِّر »، فــذكر أشياءَ منها: « حاول الشيخُ ابن باز الرئيس العــام

لإدارات البحـــوث العلمية والإفتـــاء والـــدعوة والإرشـاد (سـابقًا) أن يسـتدرك على ما لا يُعجبُه في كتـاب "فتح البـاري بشـرح البخـاري" للإمـام الحافظ ابن حجر العســـقلاني، فأصـــدرَ مع مُعاونيه ثلاثة أجـزاء، ثمَّ توقَّف عن التعليـق، وقد فتح بابَ شرٍّ بهذه التعليقات)) !!!

والجواب: أنَّ ما ذكره ـ على زعمه ـ يرجع إلى الحـذف أو التغيـير والـتزوير، وما نسـبه إلى الشـيخ عبد العزيز ابن بـاز لا علاقة له بالحـذف، فبقي أن يكـون من قبيل التغيـير والـتزوير، وأيُّ تغيـير وتزوير يكـون بـالتعليق على كتـاب وتعقُّبِ بعضِ ما فيـه؟! وهـذه طريقـةٌ مسـلوكةٌ قـديمًا وحـديثًا، مع أنَّ الشـيخَ ــ رحمه الله ــ عند تعقُّبه في غاية الأدب، حيث يقـول: ((هـذا القـول فيه نظر، والصوابُ كذا وكذا)).

أمَّا قـول الكـاتب عن تعليقـات الشـيخ رحمه

اللّٰه: ((وقد فتح باب شرٍّ بهـذه التعليقـات!!!)) فهو من سوء الأدب مع أهلِ العلم، وأيُّ بابِ شـرٍّ فُتِح بهذا العمل؟!

فإنَّ الشـيخَ عبد العزيز بن بـاز ــ رحمه اللّٰه ــ معروفٌ لدى كـلِّ مُنصِـفٍ بأنَّه من مفـاتيح الخـير ومغاليق الشرِّ، وقد قال الإمامُ الطحاويُّ ـ رحمه اللّٰه ـ في عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة: ((وعلماء السَّلف من السَّـابقين ومَن بعـدهم من اللاَّحقين أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنَّظر، لا يُذكرون إلاَّ بالجميـل، ومَن ذكـرهم بسـوءٍ فهو على غـير السَّبيل)).

والشيخ عبد العزيز ـ رحمه اللّٰه ــ جمع اللّٰهُ له بين الخــير والأثــر، والفقه والنّظــر، فهو محــدِّثٌ فقيهٌ.

وأحسَبُ الشـيخَ عبد العزيز ــ رحمه اللّٰه ــ ولا أُزكِّي على اللّٰه أحـدًا، مِن خيـار النـاس في هـذا

الزَّمان، وأرجو أن يكون من الذين قال الله فيهم: {**أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ**}، وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ×: « إنَّ الله يقول: مَن عادى لِي وليًّا فقد آذنتُه بالحرب »، وكانت وفاةُ الشيخ عبد العزيز ـ رحمه الله ـ في 27 من شهر المحرم من عام 1420هـ، وقد ألقيتُ عقِبَ وفاتِه محاضرةً في الجامعة الإسلامية بالمدينة بعنوان: « الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، نموذجٌ من الرَّعيل الأول »، وقد تَمَّ طبعُها.

ومنها قال الكاتب: « فُسح إلى أبي بكر الجزائري بأن يعملَ تفسيرًا للقرآن الكريم يكون بديلاً ومنافسًا لتفسير الجلالَين، ولبَّس على الناس أنَّه هو؛ ليَتمَّ ترويجُه على العامة!! ».

والجواب: أنَّ اسمَ تفسير الشيخ أبي بكر

الجزائري: "أيسـرُ التفاسـير لكلام العليِّ الكبـير"، ويقع في خمسة مجلـدات، وهو فيه يُثبتُ الآيـات، ويـأتي بمعـاني الكلمـات، ثمَّ معـاني الآيـات، ثمَّ هداية الآيات، وهي عبارة عن فوائد تُسـتنبَطُ من الآيـات، وهو بخلاف تفسـير الجلالَين، الـذي هو مشـهور بهـذا الاسـم، وهو تفسـيرٌ على طريقة المتكلِّمين

في غاية الاختصـار، يكـون التفسـير بين كلمـات الآيــات، ومِن أمثلة ذلك تفســيرُه لآخر آيــةٍ من سورة المائدة، حيث جاء فيه كما هو في الطبعة التي عليها حاشية الصاوي:

« {**لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**} خزائن المطر والنبات والرِّزق وغيرها، {**وَمَا فِيهِنَّ**} أتى بِـ (ما) تغليبًا لغير العاقل، {**وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**}، ومنه إثابةُ الصادقين وتعذيب الكاذبين، وخصَّ العقلُ ذاتَه، فليس عليها بقــادر!

)).

والضـــــمير في ذاتِه يرجع إلى الله، وهو من تكلُّف المتكلِّمين!!

وأهل السُّنَّةِ والجماعة لا ينقـدِحُ في أذهـانِهم دخولُ ذات الله تحت قوله: {**وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**}، حتَّى يُفكِّروا في إخراجِها.

وعلى هـذا، فـأيُّ تشـابُه بين تفسـير الشـيخ الجزائري، وتفسير الجلالَين؟!

وأيُّ تلـبيسٍ حصل سـوَّغ للكـاتب أن يقـول: ((ولبَّس على النـاس أنَّه هـو؛ ليَتِمَّ ترويجه على العامة))؟!!

ولا يكـون الكـاتبُ صـادقًا إلاَّ لو كـان اسم تفسـير الجزائـري: "تفسـير الجلالين" وما أحـوج الكـاتب إلى التحلِّي بقـول الله عـزَّ وجـلَّ: {**وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا**

اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى}!

وقد ذكر الكاتبُ أشياءَ ادَّعى الحذفَ فيها، لَم أتعرَّض لها لعدم تَمَكُّنِي من معرفة الصدق أو الكذب فيها، ولو صحَّ شيءٌ منها، فإنَّه يُنسبُ إلى مَن فَعَلَه من الناشرين وغيرهم، ولا تَسُوغُ نسبةُ ذلك إلى مَن زعم الكاتبُ نُصحَهم في قوله: ((دأبتُم على أن تحذِفوا ما لا يُعجِبُكم ويُرضيكم من كتب التراث الإسلامي ...!!)).

* * *

17 ـ ذكر الكاتب عمَّن زعم نصحهم أنَّهم أنشأوا جامعةً في المدينة المنورة سَمَّوها: ((الجامعة الإسلامية))، وهَرَع الناسُ إليها؛ ظانِّين أنَّهم ستزيدُهم مَحبَّةً واتِّباعًا للرسول ﷺ، فصار الأمرُ إلى خلاف ذلك بزعمه!

والجواب: أنَّ الجامعةَ الإسلامية بالمدينة

أُنشئت سنة (1381هـ)، وهي من أعظم حسنات حكومة المملكة العربية السعودية، وأجلّ هداياها للعالَم الإسلاميِّ؛ لأنَّ نسبةَ الطلاَّب غير السعوديين فيها تعادِل 80 % تقريباً.

ومنذ إنشائها والإقبالُ عليها عظيمٌ من داخل المملكة وخارجها، وهي مشتمِلَةٌ على كلِّيَّات: الشريعة، والدعوة وأصول الدِّين، والقرآن الكريم، والحديث الشريف، واللغة العربية، وفيها دراسات عليا لمنح درَجَتَي الماجستير والدكتوراه.

وطلبتُها يَدرسون فيها الكتاب والسُّنَّة وسائرَ العلوم الشرعية، وهي تُعنَى بتوجيه طلبتِها إلى الاهتمامِ بهذه العلوم الشريفة؛ ليسيروا إلى الله على هدى وبصيرة، ويسلكوا الصراطَ المستقيم، كما قال الله عزَّ وجلَّ: **{وأنَّ هَذا صِراطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ ولا تَتَّبِعُوا السُبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ}.**

وتُعنى أيضًا بتوجيه طلبَتِها إلى مَحبَّة الله ورسوله ﷺ وأصحابه الكرام والتابعين لهم بإحسانٍ، وأن تكون مَحبَّتُهم للرَّسول ﷺ أعظمَ من محبَّة النَّفس والوالد والولد والناس أجمعين، كما ثبت ذلك عن الرَّسول الكريم ﷺ، لكن بدون غُلُوٍّ وإطراء كما هو شأن أهل البِدع، وتُعلِّمُهم أيضًا العنايةَ باتِّباع السنن وترك البدع ومُحدثات الأمور.

وقد تخرَّج فيها حتى الآن ألوف كثيرة، عادوا إلى بلادِهم وغير بلادِهم، وهم في الجملة دعاةٌ إلى الخير وإلى الصراط المستقيم، وفيهم كثيرون تعاقدت معهم حكومة المملكة العربية السعودية للقيام بالدعوة إلى الله والتوجيه إلى الخير في بلاد كثيرة إسلامية وغير إسلامية.

ومعلومٌ أنَّ هذا المنهج القويم الذي تسير عليه الجامعة لا يُعجِبُ أهلَ البدع والدعاة إليها، كما هو شأن الكاتب؛ إذ صارت هذه الحسنات

في نظره سيِّئات، نسأل الله له وللمقـدِّم لأوراقِه الهدايةَ إلى اتِّباع الحقِّ وسلوك طريقه المستقيم.

* * *

18 ـ أنحى الكاتب باللَّوم على حُكَّام المملكة العربية السـعودية وقُضـاتها لقتلِهم مُهـرِّبي المخـدِّرات، وكـذلك أنحى بـاللَّوم عليهم لقتلهم السَّـحرة، وقـال: « وتوَسَّـعتُم في إصـدار الأحكام باسم الشرع الحنيف في قتل المخالِفين لكم من أصـحاب الرُّقية والعلاج الـرُّوحي، وسَمَّيتُموهم (سحرة)! ولَم تُفرِّقـوا بين المُحقِّين منهم وبين المُبطلين منهم، وتـركتم لأنفسـكم مطلق الفتـوى والحكم بـذلك، فأسَـلْتُم دمـاءَ الكثـيرين من الأبريـاء بحُجَّة أنَّهم سـحرةٌ تُسـتباحُ دماؤهم، متناسين قوله تعالى: **{وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالحَقّ}**، وقول البشـير النـذير ×: (أَوَّلُ مَا يُقْضَـى به بَيْنَ النَّاس

يَـوْمَ القِيَامَـةِ فِي الـدِّمَاءِ)، فقِفـوا عند الحـدودِ، وادرؤوها بالشبهات!!)).

والجواب من وجهين:

الأول: أنَّ هذا من عجيب أمر الكـاتب؛ يتـألَّم لعقوبة الظالمين وهم قليلـون، ولا يتـألَّم لتضـرُّر المظلومين وهم كثيرون لا يحصون، يُشـفق على الـــذئاب ولا يُشـــفق على فرائسِـــها!! يَعطِـــفُ الرِّفـاعي على الأفـاعي، ولا يعطِف على هلكى سُمومها!! وإنَّ مِن حسن حظِّ المرء أن لا يكـون ظهيرًا للمجرمين!

الثاني: وأمَّا زعمه أنَّ الحُكَّامَ والقُضاةَ توسَّعوا في قتل أصحابِ الرُّقية والعلاج الروحي، وأنَّهم سَـــمَّوهم ســـحرة، وأنَّهم لَم يُفرِّقـــوا بين المُحقِّين منهم والمُبطلين، وأنَّهم تركـوا لأنفسِـهم مطلق الفتـــوى والحكم بـــذلك، فأســـالوا دِمـــاءَ الكثـيرين من الأبريـاء، وأنَّهم لَم يـدرأوا الحـدودَ

بالشُّبهات، فجوابه أن نقول:

مِن أين للكاتبِ أنَّ الحُكَّامَ والقُضاةَ لَم يُفرِّقوا بين المُحِـقِّ والمُبطِـل، وأنَّ مَن قتلـوهم أبريـاء، وأنَّ هناك شبهات لَم تُدرأ بها الحدود، حـتى قـال ما قال؟!

لكنَّه الرَّجم بالغيب واتِّباع الهوى!

ثمَّ لماذا الاعتراض على الحُكَّام في حُكمهم، والقضاة في قضائِهم، والمُفتين في إفتائهم؟!

وما هي منزلة هـــذا المعـــترض في العلم والدِّين؟

رحم الله امرأً عَـرفَ قَـدر نفسِـه، وتـرك ما لا يَعنيه إلى ما يَعنيه!

والقضـــاةُ لَم يَنسَـــوا الآيـــةَ والحـــديث، ولَم يتناسوهما، ولكنَّهم اجتهدوا للوصـول إلى الحـقِّ، وهم مـأجورون على كـلِّ حـال؛ لقوله ﷺ: «إذا

حكم الحـاكمُ فاجتهد فأصـاب فله أجـران، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجـــــــرٌ واحد))، رواه البخـاري ومسـلم من حـديث عمـرو بن العـاص رضي الله عنه.

* * *

19 ـ قال الكاتب: ((تتّهَمُّون المخالفِين لكم من المســـلمين بـــأنَّهم جهمية أو معتزلة مارقين (كـذا)، وأنتم الجهميَّة؛ لأنَّكم وافقتمـوهم في بعض آرائِهم!

وحقًّا أنتم المعتزلـة؛ لأنَّكم شـاركتموهم في إنكـار الولايـةِ والأوليـاء، والكرامة والكرامـات، وحياة المـوتى، وتحكيم العقل في المغيَّبـات من أمور الدِّين!!)).

والجواب: أن يُقال:

أوَّلاً: إنَّ مَن زعم الكاتب نُصـحَهم لا يتَّهمـون

أحــداً بِما ليس فيــه، بل مَن كــان على عقيــدة الجهميَّة الـتي تَظهر في أقواله ومؤلَّفاته وَصَـفوه بِما ظهر منـــــه، والمشـــــهور عن الجهميَّة نفي الأسـماء والصـفات، فهم أهــلُ تعطيــل، وأهل السنة أهلُ إثبات، لكن بـدون تشـبيه؛ عملاً بقوله عزَّ وجلَّ: {**لَيْسَ كَمِثْلِه شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**}، فأثبت لنفسه السمعَ والبصر، ونفى مشابهَتَه لغيره ومشابهةَ غيره لــه، فلا يوافِق أهــلُ السُّــنَّة الجهميَّةَ في شــيءٍ من آرائِهم ومعتقــداتهم، فهم أبعَــدُ النــاس عنهم، وأسعدُهم في مجانبَتِهم.

ثانياً: إنَّ الذين زعم الكاتب نُصحَهم لا يُنكرون الولايـةَ والأوليـاء، والكرامـةَ والكرامـات، كما زعم الكاتبُ قائلاً: إنَّهم شـاركوا المعتزلة في ذلك!

وهم يُقــرُّون بالولاية والأوليــاء، والأوليــاء

عندهم هم الذين قال الله فيهم: {**أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ**}.

ويُصدِّقون بِما حصلَ ويَحصل لهـؤلاء الأوليـاء من الكرامـات، إذا حصل ذلك على وجـهٍ ثـابتٍ، كقصَّة أُسَـيد ابن حُضَـير وعبَّاد بن بشر رضي الله عنهمـا، وخروجهما من عند رسـول الله ✕ في ليلة مظلمـةٍ وبين أيـديهما نـورٌ، فلَمَّا تفرَّقا تفـرَّق النُّورُ معهمـا، وهي في الصـحيحين من حـديث أنس رضي الله عنه.

وقصَّةِ تكثـير الطعـام لأضـيافِ أبي بَكر رضي الله عنـه، وهي في الصـحيحين من حـديث عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهمـا، ومِمَّا قالَه الإمامُ الطحاويُّ في عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة في الأولياء: « والمؤمنـون كلُّهم أوليـاءُ الـرحمن، وأكـرمهم عند الله أطـوعُهم وأتبعُهم للقـرآن »،

وقال: ((ونؤمنُ بِما جاء من كراماتِهم، وصحَّ عن الثقات من رواياتِهم)).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله ــ في العقيدة الواسطية: ((ومن أصول أهل السُّنَّة: التصديقُ بكرامات الأولياء، وما يُجري اللهُ على أيديهم من خوارقِ العادات في أنواع العلوم والمكاشفات، وأنواع القدرة والتأثيرات.

والمأثور من سالف الأُمم في سورة الكهف وغيرها، وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، وسائر قرون الأُمَّة، وهي موجودةٌ فيها إلى يوم القيامة)).

وأمَّا إذا كان الأمرُ الخارقُ للعادة جاء في حكايات هي أشبه بالخرافات، لا سيما إذا كانت واضحةً في مُخالفةِ الشرع، كالاستغاثةِ بغير الله من الأمواتِ والأحياء الغائبين، ويُزعم أنَّها كرامةٌ لِمن ادُّعيت له الولاية، والله أعلم بحقيقة الحال،

فإنَّه لا يُلتفتُ إليه، ولا يُغتَرُّ به.

وأكتفي بالتمثيل لذلك بِما ذُكِر أنَّه من كرامات العيدروس الذي قال عنه الكاتبُ: إنَّه بركةُ عدَن وحضرموت، وأشاد بِمشهدِه، ونوَّه ببناءِ قُبَّتِه، ووصفها بأنَّها مباركة!!

فقد قال عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروسي في كتابه النور السافر عن أخبار القرن العاشر في ترجمة
أبي بكر بن عبد الله العيدروس المتوفَّى سنة (914هـ) في (ص:79 ـ 80):ـ « وأمَّا كراماته فكثيرة كقطر السحاب، لا تدرك بِعدٍّ ولا حساب، ولكن أذكر منها على سبيل الإجمال دون التفصيل، ثلاث حكايات تكون كالعنوان على باقيها بالدلالة والتمثيل، منها:

أنَّه لَمَّا رجع من الحجِّ دخل زبلع، وكان الحاكم بها يومئذ محمد بن عتيق، فاتفق أنَّه

ماتت أمُّ ولد للحاكم المذكور، وكان مشغوفًا بهـا، فكاد عقلُه يـذهب بموتِهـا، فدخل عليه سـيدي لما بلغه عنه من شدَّة الجزع؛ ليُعزِّيه ويـأمره بالصبر والرضاء بالقضاء، وهي مُسجاة بين يـدي الحاكم بثوبٍ، فعـزَّاه وصـبَّره، فلَم يُفِد فيه ذلـك، وأكبَّ على قـدم سـيِّدي الشـيخ يُقبِّلُهـا، وقـال: يا سـيدي! إن لَم يُحيِ اللّٰه هـذه متُّ أنا أيضـًا، ولَم تبق لي عقيدة في أحـد، فكشف سـيِّدي وجهَهـا، وناداها باسمِها، فأجابتـه: لبَّيـك! وردَّ اللّٰهُ روحَهـا، وخرج الحاضرون، ولَم يَخرج سيدي الشـيخ حـتى أكلتْ مع سيِّدها الهريسةَ، وعاشت مدَّة طويلة!!!

وعن الأمير مرجان أنَّه قال: كنتُ في نفـرٍ من أصـحاب لي في محطَّة صـنعاء الأولى، فحمل علينا العـدوُّ، فتفـرَّق عنِّي أصـحابي، وسـقط بي فرسي لكـثرة ما أُثخن من الجراحـات، فـدار بِي العدوُّ حينئذٍ من كلِّ جانب، فهتفتُ بالصالِحين، ثمَّ

ذكرتُ الشيخ أبا بكر رضي الله عنه، وهتفتُ به، فإذا هو قائمٌ، فوالله العظيم! لقد رأيتُه نهارًا وعاينتُه جهارًا، أخذ بناصيتِي وناصية فرسي، وشلَّنِي من بينهم حتى أوصَلَنِي المحطة، فحينئذ مات الفرس، ونجوتُ أنا ببَرَكتِه رضي الله عنه ونفع به!!!

وعن المُريد الصادق نعمان بن محمد المهدي أنَّه قال: بينما نحن سائرون في سفينةٍ إلى الهند، إذ وقع فيها خرقٌ عظيمٌ، فأيقَنوا بالهلاك، وضجَّ كلٌّ بالدعاء والتضرُّع إلى الله تعالى، وهتف كلٌّ بشيخِه، وهتفتُ أنا بشيخي أبي بكر العيدروس رضي الله عنه، فأخذتنِي سِنَة، فرأيتُه داخل السفينة، وبيده منديلٌ أبيض، وهو قاصدٌ نحو الخَرْق، فانتبهتُ فرحًا مسرورًا، وناديتُ بأعلى صوتِي: أنْ أَبشِروا يا أهل السفينة! فقد جاء الفرَج، فقالوا: ماذا رأيتَ؟

فـأخبرتُهم، فتفقَّدوا الخَـرْقَ، فوجـدوه مسـدودًا بمنـديل أبيض كما رأيتُ، فنجونا ببركته رضي الله عنه ونفع به!!!)) اهـ.

ومُجرَّد ذكر هذه الحكايـات يُغنِي عن التعليق عليها!!

ومؤلِّف هـذا الكتـاب، القائـلُ فيه هـذا الكلام من أهل القرن الحادي عشر، ولكلِّ قومٍ وارث!

فأهل السُّنَّة والحـديث يَرثـون رسـولَ الله ✕ وأصـحابَه الكـرام، والخرافيُّون يَرثـون أهـلَ الخُرافة!

وقول هذا القائل عن كرامات العيـدروس أنَّها (كقطر السحاب، لا تُدرك بِعدٍّ ولا حسـاب!!) قد لا يسمع مسلمٌ مثلَ هـذه العبـارة في كرامـات أبي بكر الصديق رضي الله عنـه، وهو سـيِّدُ الأوليـاء، وخيرُ أمَّة محمد ✕ التي هي خيرُ الأُمم.

وأمَّا الحكايـات الثلاث المزعـوم أنَّها كرامـات العيدروس فهي مِن المُضحكات المُبكيات!

مُضحكاتٌ لشدَّة غرابتِها! ومُبكيـاتٌ؛ لأنَّها تـدلُّ بوضـوح على مـدى تلاعب الشـيطان بـالمفتونين بأصحاب القبور!!

وقد قال ابن كثـير رحمه الله: « وأصل عبـادة الأصنام من المغـالاة في القبـور وأصـحابها، وقد أمر النَّبِيُّ ✕ بتسوية القبور وطمسـها، والمغـالاةُ في البَشر حرام ».

والحكايةُ الأولى من الحكايـات الثلاث فيها أنَّ الرَّجـلَ الـذي مـاتت أمُّ ولـده أكبَّ على رجل العيدروس يُقبِّلُها، قـائلاً: « يا سـيدي! إن لَم يُحيِ الله هـذه متُّ أنا أيضـاً، ولَم تبق لي عقيـدة في أحد!!

فكشف سـيِّدي وجهَهـا، وناداها باسـمِها،

فأجابتـه: لبَّيـك! وردَّ اللّهُ روحَها ... وعاشت مـدَّة طويلة!!!)).

واللّه عزَّ وجلَّ يقول: {**فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ**}، ومَن مات قـامت قيامتُـه،والإنسـانُ في الـدنيا له حيـاةٌ واحـدة، لا حياتـان أو أكـثر، قـال اللّه عـزَّ وجـلَّ: {**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**}.

وأمَّا الحكايتان الأخريان، فإنَّ فيهما دعاءَ غير اللّه، والاسـتغاثة به عند الشـدائد، واللّه يقـول: {**أَمَّن يُجِيبُ المُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَءِلَهٌ مَعَ اللّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ**}!!

وأمَّا حيـاةُ المـوتى، فـإنَّ مَن زعم الكـاتب نُصحَهم يؤمنون بـأنَّ للمـوتى في قبـورهم حيـاةً برزخيَّةً، اللّه أعلم بكيفيتها، وليست شبيهةً بالحيـاة

الـدنيا، ولا بالحيـاة بعد البعث، وفيهم المُنعَّمـون في قبورهم والمعـذَّبون فيهـا، والنعيمُ والعـذابُ للروح وللجسد؛ لأنَّ الإحسانَ حصل منهما جميعًا، والإساءةَ حصلت منهما جميعًا.

وهم أيضًا لا يُحكِّمـــون العقل في الأمـــور الغيبيَّة، بل التعويـــلُ عنـــدهم على النصـــوص الشرعية، وعنـدهم أنَّ العقـلَ السـليم لا يُخـالف النقـلَ الصـحيح، ولشـيخ الإسـلام في ذلك كتـابٌ واسع، هو درء تعارض العقل والنقل.

* * *

20 ـ للكاتب شغفٌ عظيمٌ بالآثار المكانية الـتي تُنسـبُ إلى النَّبِيِّ ✕، كمكـان مولِـده ✕، والبئر الـتي سـقط فيها خاتَمُه ✕، ومكـان مَـبرك ناقته ✕ في قباء عند قدومِه في هجرتِه ✕ إلى المدينة، وغير ذلك.

ويَعتِب بشـدَّة على مَن زعم نُصـحَهم؛ لعـدم

الاهتمـــامِ بـــذلك والمحافظـــةِ عليـــه، وبســـتدلُّ للمحافظة على مثل هـــذه الآثـــار بقوله تعـــالى: {**وَاتَّخِذُوا مِن مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى**}، وبما جاء في قصَّة طالوت: {**وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِن رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ المَلاَئِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ**}.

قال: « وقال المفسِّرون: إنَّ البقيَّةَ المـذكورة هي عَصاة موسى ونعليه (كذا) و... إلخ ».

وبالإشـارةِ إلى الأحـاديث الصـحيحة الـواردة فيما يتعلَّق بآثـــار النَّبِيِّ ﷺ واهتمـــام الصـــحابة رضـوان اللّٰه عليهم بها المـذكورة في ثنايا أبـواب صحيح البخاري.

والجواب عن الدليل الأول: أنَّ اتِّخاذ مقام إبراهيم مُصلًّى دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة، ولا

دلالة فيه للكاتب على المحافظة على الآثار التي ذكرها؛ لأنَّ الآيةَ في اتِّخاذ المقام مصلًّى، ولا يصحُّ القياس عليه.

وأيضًا فإنَّ اتِّخاذ المقام مصلًّى مِمَّا أشار به على
رسولِ الله ✕ عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه، فنزلت الآيةُ في ذلك.

وعمرُ رضي الله عنه هو الذي جاء عنه المنعُ من التعلُّق بمثلِ هذه الآثار؛ لأنَّه هو الذي أَمر بقطع الشجرة التي حصلت تحتها بيعةُ الرِّضوان، ولأنَّه جاء في الأثر عن المعرور بن سُويد قال: «كنتُ مع عمر بين مكة والمدينة، فصلَّى بنا الفجر، فقرأ {**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ**}، و{**لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ**}، ثمَّ رأى قومًا ينزلون فيُصلُّون في مسجد، فسأل عنهم، فقالوا: مسجدٌ صلَّى فيه النَّبِيُّ ✕، فقال: إنَّما هلك مَن كان قبلكم أنَّهم

اتَّخـذوا آثـارَ أنبيـائِهم بِيَعـًا، مَن مـرَّ بشـيءٍ من المساجد فحضرَت الصـلاة فليُصـلِّ، وإلاَّ فلْيَمضِ))، رواه عبد الرزاق (2/118 ـ 119)، وأبو بكر بن أبي شيبة (2/376 ـ 377) بإسنادٍ صحيح.

والجوابُ عن الدليل الثاني: أنَّ البقيَّةَ المذكورة في الآية لو صحَّ تفسيرُها بِما ذُكر، فإنَّه لا دلالة فيها على التعلُّق بالآثـــار؛ لأنَّ النَّهيَ عن التعلُّق بالآثار ثبت عن عمـر، كما مـرَّ آنفـًا، وفيـه: ((إنَّما هلك مَن كـــان قبلكم أنَّهم اتَّخـــذوا آثـــار أنبيـائِهم بِيَعًا))، وقد قـال ✕: ((فعليكم بسُـنَّتِي وسُـنَّة الخلفـاء الراشـدين المهـديين من بعـدي، تَمسَّكوا بها وعضُّوا عليها بالنواجذ)).

والجواب عن الدليل الثالث: أنَّ الأحاديث الـواردة في صـحيح البخـاري وغـيره تـدلُّ على تـبرُّك الصـحابة بعَـرَق النَّبِيِّ ✕ وفَضل وَضـوئه وشـعره، وغـير ذلك مِمَّا مَسَّ جسـدَه ✕، وكـلٌّ

ذلك ثـــابتٌ، وقد حصل للصـــحابة رضي الله عنه وأرضاهم.

وأمَّا الآثـــار المكانيَّة، فقد مـــرَّ في أثر عمر رضي الله عنه ما يدلُّ على منع التعلُّق بها.

ونَهيُ عمر رضي الله عنه عن التعلُّق بآثـــار النَّبِيِّ ✕ المكانيَّة الـــتي لَم يـــأتِ بها سُـــنَّةٌ عن رسـول الله ✕، إنَّما كـان لِما يُفضي إليه ذلك من الغلُوِّ والوقوع في المحذور.

ومِمَّا يُوضِّـــح ذلك أنَّ الكـــاتبَ ـــ وقد افتُتِن بالآثار ـ أدَّاه افتتانُه بها إلى الإشـادةِ بالبنـاء على القبور، وقد جاء تحريمه في السُّنَّة، وقد مـرَّ ذكـرُ إشادتِه بمشـهد العيـدروس بعَـدَن، ووصـفِه قبَّته بأنَّها مباركة.

بل أدَّاه افتتانُه بالآثـار أن عـاب على مَن زعم نُصـحَهم عـدم محـافظتهم على أثر مَـبرَك ناقة

النَّبِيِّ ×، فقال: ((كان هناك أثر (مبرك الناقة) ناقة النَّبِيِّ × في مسجد (قباء) يوم قدومه مُهاجرًا إلى المدينة في مكان نزل فيه قوله تعالى: {**لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ**}، فأزَلتُم هذا الأثر، وكنَّا نُشاهدُه حتى وقتٍ قريب!!)).

ويُقال للكاتب: مِن أين لكَ وجود مكان هذا المَبرك، وبقاؤه إلى هذا الزمان؟

إنَّ ذلك لا يتأتَّى إلاَّ لو ثبت أنَّ النَّبِيَّ × أحاطه بجدار، وتوارثه الخلفاءُ الرَّاشدون ومَن بعدهم إلى هذا الوقت، وأنَّى ذلك؟!!

ومعلومٌ أنَّ خلافةَ عمر رضي الله عنه تزيدُ على عشر سنين، ومقرُّها المدينة، وهو الذي أمر بقطع الشجرة التي في الحديبية قُرب مكة، وهو

الذي نهى عن تتبُّع آثار النَّبِيِّ ✕ المكانيَّة التي لَم تأت بها سُنَّة، كما مرَّ في الأثر قريباً، فهل من المعقول أن يَمنَعَ عمرُ رضي الله عنه من آثار بعيدة عن المدينة ويُبْقِي على أثر مَبرك الناقة الذي زعمه الكاتب، وهو عنده في المدينة؟!!

ولَم يقف الكاتبُ عند حدِّ الرَّغبة في المحافظة على الآثار المكانيَّة للرسول ✕ التي لَم يأت فيها سُنَّة، بل تعدَّاه إلى الرغبة في بقاءِ أثرٍ وُجد في عصرٍ متأخِّرٍ، فقال وهو يعِيبُ مَن زعم نُصحَهم: « وهدَمتُم بجوار بيتِ أبي أيُّوب الأنصاري رضي الله عنه مكتبةَ شيخ الإسلام (عارف حكمت) المليئة بالكتب والمخطوطاتِ النَّفيسة، وكان طرازُ بنائها العثماني رائعًا ومُمَيَّزًا!! هدمتُم كلَّ ذلك في حين أنَّه بعيدٌ عن توسعةِ الحرَم، ولا علاقةَ له بها!! ».

وهذه نتيجة الشَّغَف بالآثار!

وموقعُ المكتبة المُشار إليها بينه وبين الجدار الأمامي لمسجد الرسول ✕ بضعةُ أمتار، وهو الآن ضمن ساحات المسجد.

والكتب التي فيها، الاستفادةُ منها قائمةٌ؛ لأنَّ المكتبات الموجودة بالمدينة ـ ومنها هذه المكتبة ـ جُمعت في مكتبة واحدة قرب المسجد النبوي، وهي مكتبة الملك عبد العزيز.

هذا ولَم يقِف الكاتبُ عند حدِّ العتب واللَّوم لِمَن زعم نصحَهم؛ لعدم المحافظة على الآثار المكانية للنَّبِيِّ ✕ التي لَم تأتِ به سُنَّة، بل تعدَّاه إلى وصفِهم بأنَّهم يكرهون النَّبِيَّ ✕!

ولا أدري هل شَعر الكاتبُ أو لَم يشعُر أنَّ مَن يكره الرَّسولَ ✕ لا يكون مسلمًا، بل يكون كافرًا؟!

وسبق للكاتب أنَّ مَن زعم نُصحَهم يتَّهمون

المسلمين بالشرك، وأنَّهم يُكفِّرون الصوفيَّة قاطبة، وأنَّهم يُكفِّرون الأشاعرة، وذلك كذبٌ عليهم، وهم برآء منه، وهنا يصف مَن زعم نصحَهم ـ زورًا وبُهتانًا ـ بأنَّهم يكرهون النَّبِيَّ ، ولا شكَّ أنَّ ذلك كفرٌ، نعوذ بالله من الكفر والشرك والنفاق.

ثمَّ مِمَّا ينبغي أن يُعلَم أنَّ الصحابةَ الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم ومن تبعهم بإحسانٍ لَم يكونوا يذهبون إلى الآثار المكانية التي لَم يأت بها سُنَّة، كمكان مولده ✕، ومكان مَبْرَك الناقة المزعوم، ولو كان خيرًا لسبقوا إليه.

فلَم يكونوا يحافظون على مثل هذه الآثار، وإنَّما كانوا يحافظون على آثارٍ أُخرى، وهي الآثارُ الشرعيَّةُ التي هي حديثُه ✕ المشتمل على أقواله وأفعاله وتقريراته ✕، وبحافظون على فعل السُّنن وترك البدع ومحدثاتِ الأمور، ولقد

أحسن مَن قال:

دينُ النَّـبِيِّ مُحـمَّـد أخبـــارُ نــعم المـطــيَّةُ للـفتى آثــارُ

لا تــرغَبنَّ عن الحـــديث وأهلِه فــالرأيُ ليْــلٌ والحديثُ نهارُ

ولَرُبَّما جهل الفتى أثرَ الهُـدى والشَّـمسُ بازغَـةٌ لَها أنـوارُ

وقال آخر:

الفقهُ في الدين بالآثار مقتـرنٌ

فاشـغَل زمانَـك في فقهٍ وفي أثَر

فالشُّغلُ بالفقه والآثار مرتفعٌ

بقاصد الله فوق الشمس والقمر

* * *

21 ـ ومقدِّمة الدكتور البوطي لأوراق

الأستاذ الرفاعي تشتمل على الثناء على الرِّفاعي، وموافقته على كلِّ ما في نصيحتِه المزعومة المسمومة، وعلى وَصْفها بأنَّها (تذكرة هادئة، ولطيفة في أسلوبها!!).

وتشتملُ على الغلوِّ في الآثار المكانيَّة التي لَم يأت بها سنَّة عن رسول الله ✕، بل وزعم أنَّ القرون الثلاثة وما بعدها إلى هذا الوقت مُجمعةٌ على التبرُّك بهذه الآثار، وأنَّه لَم يُخالِف في ذلك إلاَّ علماء نجد المزعوم نُصحهم، وأنَّ ذلك بدعة.

ومن قوله في ذلك: « ولا نشكُّ في أنَّهم يعلمون كما نعلم أنَّ عصورَ السلف الثلاثة مرَّت شاهدة بإجماع على تبرُّك أولئك السلف بالبقايا التي تذكِّرهم برسول الله ✕، من دار ولادتِه، وبيت خديجة رضي الله عنها، ودار أبي أيوب الأنصاري التي استقبلته فنزل فيها في أيامه الأولى من هجرتِه إلى المدينة المنورة، وغيرها

من الآثار كبئر أَريس، وبئر ذي طـوى، ودار الأرقم ... ثم إنَّ الأجيالَ التي جاءت فمرَّت على أعقـاب ذلك كانت خيرَ حارسٍ لَها، وشاهد أمين على ذلك الإجماع)).

وتشتملُ أيضًا على اتِّهام المزعوم نُصحهم بـــ ((تكفير سواد هذه الأمة بحجَّة كونهم أشاعرة أو ماتريديين!)).

وتشتملُ أيضًا على الإنكار على علمـاء نجد في تحـــذيرهم من الغلُـــوِّ في رســـول الله ✕، ويُفرِّق بين الغُلُوِّ والإطراء، فيَمنعُ الإطراءَ ويُجـيزُ الغُلُوَّ، قـال: ((ولو قلتُم كما قـال رسـول الله ✕: (لاتطروني كما أطرت النصارى ابنَ مـريم) لكـان كلامًا مقبولاً، ولكان ذلك نصيحةً غاليةً.

أمَّا الحبُّ الـــذي هو تعلُّق القلب بـــالمحبوب على وجه الاســـتئناس بقُربه والاســـتيحاش من بُعده، فلا يكون الغلوُّ فيه ـ عندما يكون المحبوب

رسـول الله ✕ ـ إلاَّ عنوانًا على مزيـدِ قُـربٍ من الله!! وقد علمنا أنَّ الحبَّ في الله من مُسـتلزمات توحيد الله تعالى، ومهما غلا مُحبٌّ رسول الله ✕ في حُبِّه له أو بالَغ، فلن يصِل إلى أَبعد من القَـدْر الـذي أَمر به رسـول الله ✕!!! إذ قـال فيما اتَّفق عليه الشيخان: (لا يؤمن أحدُكم حتى أكـون أحبَّ إليه من مالِه وولـــدِه والنـــاس أجمعين)، وفي رواية للبخاري: (ومن نفسه) ».

والجواب: على ذلك أن نقول:

أولاً: أمَّا ثناء البوطي على الرفاعي فيصـدق على المثنِي والمثنَى عليه قول الشاعر:

ذهب الرِّجال المُقتدَى بفعالِهم
والمنكـرون لـكلِّ فعل منكر
وبقيتُ في خَلْف يُزكِّي بعضُهم
بعضًا ليدفع معور عن معور

ثانياً: إنَّ وصفَ البوطي لنصيحة الرِّفاعيِّ المزعومة
بـ (أنَّها تذكرة هادئة، وأنَّها لطيفة في أسلوبها!!) بعيدٌ عن الحقيقة والواقع؛ يتَّضحُ ذلك بالوقوف على بعض الجُمل التي أوردتُها من كلام الرِّفاعيِّ، ففيها الكذب والجفاء.

ثالثاً: وأمَّا موافقتُه للرِّفاعي فيما جاء في أوراقه، فإنَّ كلَّ ما تقدَّم في الردِّ على الرِّفاعي هو ردٌّ على البوطي.

رابعاً: وأمَّا إجماع العصور الثلاثة وما بعدها الذي زعمه البوطي على التبرُّك بآثار النَّبيِّ ✕ المكانيَّة، كمكان مولدِه وبئر أريس التي سقط فيها خاتَمُه ✕ ونحو ذلك، فلا يتأتَّى له إثبات هذا الإجماع، بل ولا إثبات القول به عن واحدٍ من الصحابة رضي الله عنهم!

وأيُّ إجماعٍ يُزعمُ من الصحابة ومَن بعدهم على ذلك، وقد جاء عن عمر رضي الله عنه الأمر بقطع شجرة بيعة الرضوان في الحديبية قرب مكة، وجاء عنه أيضًا التحذيرُ من التعلُّق بمثل هذه الآثار، وقال: « إنَّما هلك مَن كان قبلكم أنَّهم اتَّخذوا آثار أنبيائهم بِيَعًا »؟! كما مَرَّ ثبوت ذلك عنه في مصنَّفي عبد الرزاق وابن أبي شيبة.

خامساً: وأمَّا زعمه بأنَّه لَم يُخالف هذا الإجماعَ المزعوم إلاَّ علماءُ نجد، فغيرُ صحيح؛ لأنَّ كلَّ متَّبع للكتاب والسُّنَّة وما كان عليه سلف الأُمَّة يقول بهذا الذي ثبت عن عمر رضي الله عنه، وهم في هذا العصر كثيرون، منتشرون في الأقطار المختلفة، ومنها الكويت والشام التي منها الرفاعي والبوطي!

سادساً: وأمَّا زعمه أنَّ المزعومَ نُصحهم يُكفِّرون سوادَ الأُمَّة بحُجَّة كونهم أشاعرةً أو

مـاتردِّين، فهو كـذبٌ منه وافـتراءٌ، كما أنَّه كـذبٌ وافتراءٌ من الرفاعي، وقد مرَّ الردُّ عليه.

وأزيد هنا فأقول: إنَّ الفِرَقَ الـواردةَ في قوله ×:

« ستفترقُ هـذه الأُمَّة إلى ثلاثٍ وسـبعين فرقـة، كلُّها في النـار إلاَّ واحـدة ... » الحـديث، هم من المسلمين؛ لأنَّ أُمَّةَ النَّبِيِّ × أُمَّتـان: أمَّة الـدعوة، يدخل فيها اليهـود والنصـارى، وكـلُّ إنسـيٍّ وجِنِّي من حين بِعثة الرسول × إلى قيام الساعة.

وأمَّةُ الإجابــة: وهم الــذين دخلــوا في هــذا الدِّين، وفيهم الفِرق المذكورة في الحديث، وكـلُّ هذه الفِرَق مسـلمون مُسـتحقُّون للعـذاب بالنَّار، سوى فرقةٍ واحـدة، وهي مَن كـان على ما كـان عليه الرسول × وأصحابُه رضي الله عنهم.

سابعاً: وأمَّا تفريقُه بين الإطراءِ والغُلُوِّ،

ومَنعُه الأولَ وتجـويزُه الثـاني، فهو من التفريـقِ بين متمـاثِلَين، وكما أنَّ النَّهيَ جـاء عنه ✕ عن الإطراء، فإنَّ الغُلُـوَّ جـاء فيه النَّهيُ عن الله وعن رسوله ✕، قال الله عزَّ وجلَّ: {**يَا أَهْلَ الكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ**}، وقد لَقَطَ ابنُ عبَّاسٍ لرسول الله ✕ حصَـى الجِمـار، وهنَّ مثل حصى الخـذف، فـأمرهم ✕ أن يَرمـوا بمِثلِهـا، قـال: « وإيَّاكم والغُلوَّ في الـدِّين، فإنَّما أهلَـكَ مَن كـان قبلكم الغلُـوُّ في الـدِّين »، وهو حـديث صـحيح، أخرجه النسائيُّ وغيرُه.

ومعلومٌ أنَّ مَحبَّةَ النَّبِيِّ ✕ يجبُ أن تكون في قلب كـلِّ مسـلم أعظمَ من مَحبَّته لنفسِـه وأهله والناس أجمعين، لكن لا يجوز فيها الغُلُوُّ الذي قد يُـؤدِّي إلى أن يُصـرَف إلى النَّبِيِّ ✕ شـيءٌ من حقِّ الله، كالذي حصل للبوصـيريِّ في أبياتِه الـتي

أشرتُ إليها فيما تقدَّم في الردِّ على الرفاعي.

وليت شعري! ما الذي سوَّغ للبوطيِّ تجويز الغلوِّ في محبَّة الرسول ×، وهي من أعظم أُسُس الدِّين، وقد قال × في الحديث المتقدِّم آنفاً: « وإيَّاكم والغلو في الدِّين، فإنَّما أهلك مَن كان قبلكم الغلوُّ في الدِّين »؟!

* * *

وفي الختام، أقول في النهاية كما قلتُ في البداية: إنَّ الردَّ على الرفاعي إنَّما هو ردٌّ على بعض ما اشتملت عليه أوراقُه، وأنَّ ما ذُكر دليلٌ على ما لم يُذكر.

وأُضيف هنا أنَّني لَم أرَ في نصيحة الرفاعي المزعومة ولا في تقديم البوطي لها مسألةً واحدةً حالفهما فيها الصواب، بل إنَّ هذه النصيحة المزعومة المُؤيَّدة من البوطي هي في

الحقيقة فضيحة لهما؛ لاشتمالِها على الكذب الواضح على أهل السنَّة والدعوة إلى البدع والضلال.

وأسأل الله لهما الهدايةَ للحقِّ والعمل به، والسلامةَ مِمَّا يُخالفه، وأسأله تعالى أن يُوفِّقنا جميعًا لِما فيه رضاه والفقه في دينه، والسير على ما كان عليه رسوله الكريم ﷺ وأصحابه الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم.

والحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله وسلّم وبارك على عبده ورسوله نبيِّنا محمد وعلى آله وأصحابه وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين.

فهرس الموضوعات

- المقدمة.....3
- التنبيه بين يدي الردِّ على أمور على سبيل الإجمال.....4
- زعم الكاتب أنَّ علماء نجد تخلَّوا عن المذهب الحنبلي والرد عليه.....6
- بيان أنَّ علماء نجد يُعوِّلون على الأدلة ولا يتعصَّبون للمذهب الحنبليِّ.....7
- بيان أنَّ المنصفِين من أصحاب المذاهب الأخرى يُعوِّلون كذلك على الأدلة ولا يتعصَّبون لمذاهبهم.....8
- بيان أنَّ المعوِّلين على الأدلة هم أسعَد الناس باتباع الأئمة؛ لأنَّهم المنفِّذون لوصاياهم باتباع الأدلة.....12
- بيان أنَّ المعوِّلين على الأدلة يوافقون الأئمة الأربعة في العقيدة ويستفيدون منهم

في الفروع بخلاف غيرهم.....13
- بيان أنَّ كتـاب دلائل الخـيرات مشـتملٌ على أحاديث
موضوعة وكيفيات محدثة للصلاة على النبيِّ ✕، وذكر أمثلة لذلك.....14
- زعم الكاتب أنَّ علمـاء نجد منعـوا النصـيحة لولاة أمور المسلمين والرد عليه.....20
- بيان أنَّ النصيحةَ النافعة للـولاة وغـيرهم ما كانت سرًّا وبالرِّفق واللِّين.....21
- إنكار الكـاتب على من زعم نصـحهم وصف المدينة بالنبوية والرد عليه.....30
- تخرُّص الكاتب في تسـمية الجهة المشـرفة على المسـجد الحـرام والمسـجد النبـوي، وبيان سقوط هذا التخرُّص.....32
- إنكـار الكـاتب على من زعم نصـحهم عـدم وجود علامة

إلى القبلة الأولى في المسجد المُسمَّى مسجد القبلتين والرد عليه.....34
- افتراء الكاتب على من زعم نصحهم أنَّهم يتَّهمون المسلمين بالشرك وأنَّهم يكفِّرون الأشاعرة والصوفية.....36
- زعمه أنَّ علماء نجد يُنكرون تقليد المذاهب الأربعة وبيان الردِّ عليه وأنَّ التقليد عند الضرورة لا مانع منه.....37
- بيان موقف أهل العدل والإنصاف من الأئمة الأربعة.....44
- ذكر كلام باطل للشيخ أحمد الصاوي في التعصب للأئمة الأربعة.....46
- إنكار الكاتب على من زعم نصحهم أنَّهم يردِّدون جملة الحديث الشريف: « وكل بدعة ضلالة »، دون فهم لمعناها والرد عليه ببيان

الفهم الصحيح لمعناها.....48
- زعمه أنَّ من البـدع الشـنيعة وضع حـواجز تفصِـل بين الرِّجـال والنسـاء في المسـجد الحرام والمسجد النبوي والرد عليه.....51
- إشادة الكاتب بتعظيم القبـور وبنـاء القبـاب عليها والرد عليه.....54
- إشـادة الكـاتب بقصـيدة الـبردة للبوصـيري والـرد عليه ببيـان المـدح بـالحقِّ والمـدح بالباطل للرسول ﷺ.....68
- إنكار الكاتب منع دفن المسلم الـذي يمـوت خـارج مكة والمدينة من الـدفن فيهما والـرد عليه.....75
- نيل الكـاتب من الشـيخ العلاَّمة المحـدِّث محمد ناصر الـدِّين الألبـاني ـ رحمه الله ـ والرد عليه.....78
- إشادة الكاتب بالاحتفـال بمولد الرسـول ﷺ

وإنكـارُه على من زعم نصـحهم إنكـارَهم لذلك والرد عليه..... **80**

- تنـــاقض الكـــاتب في تألُّمه من تفـــرُّق المسلمين في أوربا وأمريكا وتألمه وحزنه على وحـــــــــدة المسلمين في صلاتهم عند الكعبة..... **86**
- إنكار الكاتب القـول بـأنَّ أَبـوي الرسـول ﷺ في النار والرد عليه..... **88**
- ذكر جملة من أقــوال ابن عــربي الطــائي الدالة على كفـره وذكر عـدد كبـير من أهل العلم الذين كفَّروه..... **100**
- نيل الكـاتب من شـيخ الإسـلام الشـيخ عبد العزيز بن باز ـ رحمه الله ـ والرد عليه.....

115
- زعم الكـاتب أنَّ الشـيخ أبا بكر الجزائـري لبَّس على النـاس أنَّ تفسـيرَه هو تفسـير الجلالين لـيروج على العامة والـرد عليـه، وبيـان أنَّ تفسـير الجلالين على طريقة المتكلِّمين.....
117
- نيل الكـاتب من المسـئولين في هـذه البلاد في إنشاء الجامعة الإسلامية بالمدينة والرد عليه.....
119
- إنكـار الكـاتب على الحُكَّام والقضـاة في هذه البلاد قتل السحرة ومُهرِّبي المخـدِّرات والرد عليه.....
122
- زعم الكـاتب أنَّ من زعم نصـحهم يُنكـرون

الولاية وكرامات الأولياء والرد عليه.....
124
- إشـادة الكـاتب بالآثـار المكانية الـتي تُنسب إلى النبِيِّ كمكان مولده والبـئر الـتي سـقط فيها خاتمه ومَــبرَك ناقته ﷺ، وعتبه بشــدَّة على من زعم نصــحهم عــدم اهتمــامهم بالمحافظة على ذلك والرد عليه.....
133
- ذكر الأمــور الــتي اشــتملت عليها مقدمة البــوطي لأوراق الرفــاعي والــرد عليه فيها .....
140
- خاتمة الرد.....
147
- فهرس الموضوعات.....
149

* * *

*